مرجعية المرحلة

محمد الصدر – محمد اليعقوبي

يحيى غالي ياسين

المقدمة

قال تعالى { مَا كانَ لِبَشَرٍ أنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ وَالحُكْمَ وَالنُّبُوّةَ ثمّ يَقُولَ لِلنّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبّانِيّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تدْرُسُونَ } ال عمران ٧٩ .

وفق طريقٍ عقلي وشرعي ، يرجعُ أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) في عصر الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن المهدي – أرواحنا لتراب مقدمه الفداء – الى الفقهاء العدول الذين اجتمعت فيهم شروط التقليد و المراجعة والذين تخرجوا من حلقات ومدارس علوم أهل البيت عليهم السلام .

الف عام تقريباً يفصلنا عن تأريخ انتقال شيخ الطائفة الطوسي رضوان الله تعالى عليه الى مدينة النجف الاشرف ، بل نزوحه من بغداد الى جوار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في سنة (448 هـ) إثر فتنة طائفية أثارها السلجوقيون في مفتتح حكمهم في العراق ، وكان من آثارها الهجوم على دار الشيخ الطوسي ، ونهب كتبه وإحراق كرسيّه الذي كان يجلس عليه للتدريس .. فرب ضارة نافعة ، فللنزوح الفضل الكبير في انتشار مذهب اهل البيت ع في اصقاع الارض ولا زال ..

وعلى العموم ، فإن مكانة الشيخ الطوسي العلمية واهمية

الفترة التي عاش بها في بداية عصر الغيبة الكبرى وانتقال عدد كبير من العلماء وطلبة العلم على أثر انتقال الشيخ الى النجف الاشرف وفوق كل هذا الطاف وبركات وتشريفات مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام .. كل هذا جعل من النجف حاضرة علمية وجامعة دينية كبرى مختصة بحديث وعلوم اهل البيت عليهم السلام وتخريج أعاظم علماء وفقهاء ومراجع الطائفة بفضل اللّٰه ومنّه .

انقطاع المؤمنين عن امامهم وعن طلبتهم المباشرين واحتياجهم الى من يرشدهم الى احكام دينهم وتشعب تلك الاحتياجات واستحداثها المستمر .. ولأن النصوص الشرعية (قرآن وحديث وسيرة معصوم) لا يتيسر لكل احد التعامل معها بسهولة ولابتعاد العوام عن الذائقة العربية بسبب ما تداخلها من لهجات ولغات مختلفة ، اضف الى ذلك ما قام به اعداء الاسلام واعداء اهل البيت من تحريف وتزييف وتشويه لسيرتهم ونصوصهم الشرعية ... الخ كل هذا وعلى مرور الزمن تطلب ان تكون هنالك قنوات علمية وشرعية تتعامل مع النص الشرعي وتستخلصه وتيسره وتقدمه جاهزاً للعمل والأداء ..

بُذل الغالي والنفيس من قبل طلبة العلم في حوزة النجف ا لاشرف ومنذ تأسيسها والى الان من اجل بقاءها ورقيها ، فع لاوة على بذل الجهد في اكتساب العلم فإنهم عانوا وذاقوا مرارة الغربة والفقر وظلم الطواغيت وتعب الدعوة الى اللّٰه تعالى في اوقات ومجتمعات كان الجهل هو الصفة الغالبة لها .. وعن معاناتهم نقلت لنا قصص عجيبة وغريبة ..

فما هي عليه حوزة النجف الآن وباقي الحوزات التي تفرعت عنها من مكانة سامية هو عبارة عن استحقاق ، فلم

يمنّ عليها احد بتشريف او تقديس او احترام ، فعلمها واخلاصها وصبرها وجهادها وتقواها وكل ما جادت به من دماء وعناء كان وراء هذا المجد التليد .. حفظ اللّه حوزة النجف الاشرف وزادها اللّه علماً وعلماء وكرامةً وشرفا ..

وفي عصرنا هذا – القرن الخامس عشر للهجرة – برز عدد من المراجع الذين كان لهم حضوراً لامعاً في الأمّة وأثراً واضحاً في المجتمع ، جمعوا بين الجانبين ، العلمي الحوزوي المتخصص وأعلاه الفقاهة والإجتهاد وحيازة شروط وأركان التقليد والمراجعة الدينية ، والجانب الرسالي العملي والحركي بين صفوف الأمة والتصدي لقيادتها وتوجيه مسيرتها نحو صلاحها ما أمكنهم لذلك سبيلا ..

وأخترنا هنا اثنين من الفقهاء المعاصرين ، الأول هو الشهيد السعيد السيد محمد الصدر قدس سره الشريف ، والثاني هو تلميذه سماحة الشيخ المرجع محمد اليعقوبي دام ظله الشريف ..

ورغم أن الساحة لم تقتصر بحمد اللّه عليهما وفق المواصفات التي ذكرناها (وهو الجمع بين الجانبين العلمي والرسالي) ، من أمثال السيد الخميني والسيد محمد باقر الصدر قدس سرهما ، الا أن ما كتب عن السيدين الأخيرين فيه من المؤونة والسعة الشيء الكثير نسبة الى ما كُتب عن السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره والشيخ اليعقوبي دام ظله ..

هذا الكتاب الذي بين أيدينا في أصله عبارة عن مجموعة من المقالات والمنشورات والبحوث التي كُتبت في مناسبات متفرقة على مواقع التواصل الاجتماعي تناولت بعض

الجوانب لكل من المرجعين الشريفين ، جمعناها وراجعناها وأخرجناها بالشكل المناسب للكتب ان شاء اللّه تعالى ، وهي بلا شك تمثل بعض جوانبهما وجزءاً مما ينبغي أن يُكتب عنهما ، أسمينا الكتاب (مراجع المرحلة) لأننا نؤمن بحق أنهم كذلك ولم يكونوا مراجع تقليديين اذا صحّ التعبير ، فحملوا همّ الأمة وهمّ المرحلة بما آتاهم اللّه من قوة وفضل وتسديد ..

رحم اللّه السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر ، أعلى اللّه مقامه وأسكنه فسيح جناته .. وحفظ اللّه لنا سماحة المرجع الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله الشريف وجميع العلماء العاملين .. أنه نعم المولى ونعم المجيب والحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين ..

السيد الشهيد السعيد

محمد محمد صادق الصدر

قدس سره

مجموعة كتابات ومقالات تناولت بعض الجوانب المشرقة من حياة ومرجعية السيد الشهيد السعيد محمد الصدر قدس سره الشريف ، كتبت في ذكريات استشهاده وسعادته ..

تمهيد

كانت حركة السيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره الشريف حلقة من سلسلة منتظمة ومتصلة من الظواهر التأريخية التي قادها الأنبياء وتبعها الصالحون من الناس بإتجاه تحقيق الهدف الإلهي الأعظم والأسمى المتمثل بإستخلاف ا لإنسان على هذه الأرض وتحقيق العبادة الخالصة لله

سبحانه وتعالى ..

فهي ظاهرة نبوية بإمتياز ، حملت معها أخلاقيات الأنبياء وإنطلقت بأسسها وجرت عليها قوانينها التكوينية ، فلم تتخلف عنها ولم تختلف معها .. ومن بين أهم تلك القوانين التي اتصفت بها الحركات الربانية هذه هو القانون الذي تمثله المعادلة التي طرفها الأول (التضحية) وطرفها الآخر يمثل النتيجة وهو (الخلود) ، فالتضحية من أهم أسرار وأسباب الخلود ..

هذه المعادلة تتكرر مع الشهيد الصدر ومن أوضح السنن التاريخية التي ينبغي الاستفادة منها في مجريات وأحداث هذه المرجعية المباركة ، فأي تضحية قدمها قدس سره ..!! التضحية التي خامرها الإخلاص وقادها أمل الوصول الى الله تعالى ، وأي خلود ..!! ذلك الخلود الذي نطقت به الآية المباركة (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذ) هود ١٠٨ .

أوقف دنياه لآخرته ، واجتهد بالعطاء لقضيته ، فجاهد الجهاد الأكبر بقلبه وجميع مشاعره ، حتى صار ولياً من أولياء الله تعالى ، وبقر علوم آل محمد صلوات الله عليهم حتى بات من خيرة حملتها .. وقام برسالته وسار برحلته التضحوية الجهادية حتى أراق دمه واستحق بذلك كله الخلود السرمدي ، وحاز ونال شرف الآية المباركة (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) ال عمران ١٦٩ .

وثمة صفة أخرى اقتبسها هذا المرجع العظيم من حركة الأ نبياء المباركة ، وهي نشر الرسالة وفتح ملف الدعوة بين

طبقات المجتمع البسيطة البعيدة عن حياة الجاه والمال ، ولقد كانت هذه سبّة على الأنبياء ومؤاخذة عليهم وأنها من نقاط ضعفهم (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ) هود ٢٧ ، فكانت هذه الصفة التي اتسمت بها مرجعية السيد الشهيد كنقطة من نقاط الجدل التي يثيرها المناوئون لمرجعيته بد لا ً من أن تكون درجة امتياز ونقطة قوة في وقت انكمشت فيه القيادات عن قواعدها واتسعت فيه الهوة التي ضربتها الظروف بينها ..

وجزءاً من الوفاء لهذه المرجعية القائدة التي جاءت في أدق مرحلة من مراحل الأمة واستطاعت أن تعيد لها روحها وشخصيتها ، وتفاعلا ً مع الخلود الذي أشرنا الى بعض أسرار وجوده ، نكتب بعض السُبحات حول هذه الشخصية القدسية ، ونستذكر بعض تلك الذكريات التي عشناها مع هذه المرجعية المباركة .. عسى أن ننال بركتها في حياتنا وشفاعتها بعد وفاتنا .. والله المسبب لكل خير .

السيد محمد الصدر في سطور

○ هو المرجعُ الديني آية الله العظمى السيد مُحمّد بن مُحمّد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل الصدر، وُلِدَ في مدينة النجف الأشرف في 23 آذار عام 1943 ، الموافق في 17 / ربيع الأول / 1362هجري ، من أسرة آل الصدر العربية العلمية الدينية العريقة والتي حفلت بعدد من الأسماء العلمية والقيادية البارزة .

○ ترعرع في أجواء الحوزة العلمية في مدينة النجف الأشرف ، وقضى حياته بين دروس العلم ومدارسه ، فدرس على يد عدد من العلماء الكبار ومنهم السيد روح الله الخميني والسيد الشهيد محمد باقر الصدر وأبو القاسم الخوئي والسيد الحكيم وغيرهم من أساطين العلم و الفقاهة .

○ ارتدى السيد الشهيد (قدس سره) الزي الديني وهو في الحادية عشرة من عمره ودرس النحو على يد والده السيد محمد صادق الصدر ثم على يد السيد طالب الرفاعي وحسن طراد العاملي أحد علماء الدين في لبنان ، ومن ثم أكمل بقية المقدمات على يد السيد محمد تقي الحكيم ومحمد تقي الأيرواني ، وتخرج في الدورة الأولى من كلية الفقه عام 1964م .

○ دخل السيد محمد الصدر مرحلة البحث الخارج حيث تلقى :

1 ـ دورة أصولية ونصف الدورة ، وكتاب الطهارة على يد استاذه السيد الشهيد محمد باقر الصدر .

2 ـ دورة أصولية كاملة وكتاب الطهارة على يد استاذه المحقق الكبير ابو القاسم الخوئي .

3 ـ المكاسب عند السيد روح الله الخميني .

4 ـ دروس في كتاب المضاربة على يد استاذه السيد المرجع محسن الحكيم .

○ بدأ السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر بتدريس الفقه الإستدلالي على مستوى البحث الخارج في عام 1978 م ، وكانت مادة البحث التي يدر ّسها (المختصر النافع) للمحقق الحلي . وأخذ السيد الشهيد يطرح أبحاثه في الفقه والأصول وأبحاث الخارج عام 1990 واستمر في ذلك متخذا ً من مسجد (الرأس) الملاصق للصحن الحيدري مدرسة ً لتلك الأبحاث .

○ هو كاتب وصاحب قلم مرموق وله مؤلفات كثيرة في الفقه والأصول والفكر الإسلامي والإنساني عموماً ، وبعض كتبه ذاع صيتها وأصبحت الابرز في بابها وموضوعها ك الموسوعة المهدوية وكتاب ما وراء الفقه وغيرها ..

○ شارك السيد الصدر في الانتفاضة الشعبانية عام 1991 م ضد النظام الصدامي ، وسرعان ما تم اعتقاله من قبل عناصر الأمن .

○ وفي عام 1993 م تصدى السيد الشهيد للمرجعية الدينية بعد وفاة المرجع الأعلى آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره الشريف .

○ لإنتشار وتعاظم مرجعيته بين صفوف الأمة ولآثارها العظيمة التي بدأت تظهر في المجتمع ولتحديه بشكل واضح وصريح للنظام البعثي الدكتاتوري القائم وقتها

وبالشكل الذي شعر فيه النظام أنه قدس سره يشكل خطراً حقيقياً عليه .. ، أقدمت الأجهزة القمعية التابعة لدوائر الأ من بإغتياله بعد أن وضع بصمة في ضمير الأمة ونقش على جبينها كلماته الثلاث المشهورة (كلا كلا أميركا.. كلا كلا إسرائيل .. كلا كلا للشيطان) ، وفي يوم الجمعة الثالث من ذي القعدة الموافق التاسع عشر من شباط عام 1999 م تعرض السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر لعملية ملا حقة من قبل سيارة مجهولة بعد خروجه من الصحن الحيدري الشريف باتجاه منزله في منطقة الحنانة برفقة نجليه السيدين الشهيدين مؤمل ومصطفى ، فأطلقوا النار على السيارة التي كان يستقلها مع نجليه وسرعان ما اصطدمت العجلة بشجرة قريبة ، فترجل المهاجمون من سيارتهم وبدأوا بإطلاق النار بكثافة على السيد الصدر ونجليه فاستشهد السيد مؤمل فوراً، أما السيد محمد محمد صادق الصدر فقد تلقى جسده الطاهر رصاصات عدة ، ولكنه بقي على قيد الحياة ، وعند نقله إلى المستشفى تم قتله برصاصة بالرأس من قبل أزلام النظام المباد ، أما السيد مصطفى فأصيب بجروح ونقل إلى المستشفى من قبل الأهالي وتوفى هناك متأثراً بجراحه .

○ وعلى إثر انتشار خبر استشهاد السيد محمد محمد صادق الصدر شهدت مناطق جنوب العراق ومدن عديدة في العاصمة بغداد ، غضباً شعبياً عارماً عرف بانتفاضة الصدر 1999 م التي قاومها النظام البعثي وأجهزته بالقتل والاعتقالات والمطاردات .

○ قالوا بحقه :

* السيد محمد مهدي الآصفي : قد كان للشهيد آية الله

السيد محمد الصدر (رحمه الله) دور كبير في تصعيد الحالة الجهادية في العراق ، واعلان المعارضة الشعبية والغضب الشعبي على النظام داخل العراق من خلال مبادرات سياسية وجماهيرية شجاعة وقوية ، كما كان له دور بارز في إحياء صلاة الجمعة في العراق .

* الشيخ محمد باقر الناصري : كان سيدنا الإمام الثائر الصدر الثاني محمد محمد صادق الصدر احد ابرز وارثي المهام الجسام ، والمتصدين لحفظ الأمانة ، فكان سيدنا الصدر الثاني الجندي الذي كمن لأعداء الله ، واعد العدة لمواصلة درب أستاذه (الصدر الأول) ونهجه .

* الشيخ محمد اليعقوبي : الشهيد الصدر الثاني (قده) عبّأ ا لأمة ونظّمها بآلية صلاة الجمعة التي حشّدت مئات الآلاف من المؤمنين يعجز عن تحشيده أكبر الأحزاب حجماً وأكثرها تنظيماً من دون أن يعطي للسلطة مبرراً لضربها .

* الأستاذ عادل رؤوف : قد اتهم بالمبالغة اذما قلت ان الشهيد الصدر الثاني (قد) فجر مكبوتات موروثة للفكر الشيعي طالت ستمائة عام فجرها نقداً معرفياً جريئاً ونقداً للمؤسسة الدينية التي انغلقت على ذاتها وترك الأمة نهباً للتيارات الفكرية الأخرى .. الشهيد الصدر الثاني اختزن جميع هذه المكبوتات وفجرها مرة واحدة لا على طريقة الرواد الإصلاحيين الذين سبقوه بأدوات وطنية خالصة لان الصدر فهم الوطن طريقاً الى الدين والدين طريقاً الى

المرجعية الجماهيرية

لا يختلف المنصفون على أنّ مرجعية السيد الشهيد محمد الصدر (قد) هي مرجعية استثنائية بكل المقاييس - على مستوى عصرها وزمنها على الأقلّ - ، وذلك لما جمعته من عناصر الفقاهة العالية والروحية العميقة والحركية الرسالية الواسعة .

وهي استثنائية ايضاً قياساً إلى التفاعل الجماهيري الكبير والساحق الذي حصل معها ، والذي شمل جميع شرائح المجتمع - وإن كان للشباب منهم السهم الأكبر - ، فلم تكن مرجعيته الشريفة مرجعيةً علمية للحوزة فقط ، ولم تستقطب النُخب فقط ، وإنّما احتوت المجتمع العراقي و الشيعي منه خاصة بجميع مستوياته واتجاهاته وألوانه ، فهي مرجعية جماهيرية بإمتياز .

أحدثت هذه المرجعية هيجاناً كبيراً في الشارع ، واستطاعت أن تُحدث فارقاً كبيراً بين ما كان عليه المجتمع وبين ما بات عليه من توّجه نحو الدين وانجذاب الشباب الى التدين بالشكل والمضمون ، فامتلأت المساجد بالمصلّين والبيوت بحلقات الدرس ، وانتعشت حركة بيع وشراء واستنساخ الكتب الدينية ، وأقيمت صلوات الجماعة و الجمعة – بعد غياب لمئات السنين – في الشوارع و الساحات المفتوحة ، ونشطت الحوزات العلمية ومكاتب المرجعيات وكثر الالتحاق بالمعاهد الحوزوية المختلفة ، ارتفع تدين المجتمع الى نسب كبيرة وأصبح الإسلام وعقائده وأحكامه الشغل الشاغل للشباب ..

لم يكن تقليد المراجع واقتناء رسائلهم العملية بالسعة التي أصبحت عليه في أيام مرجعية السيد الشهيد الصدر الثاني ، فبعد أن كانت الفجوة كبيرة والمسافة واسعة بين الأمة ومراجعها بسبب ظروف الدكتاتورية وتيارات الانحراف المختلفة التي عصفت بالمجتمع العراقي .. باتت الحوزة مندمجة بالأمة والأمة بالحوزة أيما اندماج وتفاعل ، ف التوجيهات تصل لحظة بلحظة والأوامر مُطاعة واسئلة الا ستفسار والاستفتاء عن أمور الدنيا والدين كثيرة .. والحالة الإيمانية العامة في تصاعد مستمر .

كانت مرجعية الصدر الثاني كالشعلة المتقدة بين الجماهير ، اضاءت الظلمة وأحرقت ما يبُس وجفّ ، وأعادت الروح في جسد الأمة ، شهدنا في أيّامه المباركة تمرّداً على السلطة وتمرّداً على العادات والأعراف السيئة في المجتمع ، وتمرداً حتى على بعض مسالك الحوزة وطريقة إدارتها لنفسها ولأ

أمتها ..

تحرّك الشارع هذا لم يكن معهوداً ولا مسبوقاً ، وكان انقلاباً حقيقياً على حالة بل حالات سيئة استحكمت في العراق ، و لا نبالغ ان قلنا بأن الجماهير ولدت من جديد وأن الدين بُعث فيها من جديد ايضاً .

مرجعيته تعتبر قيادة فذّة قد أسِرت لها عقول ونفوس وأجساد الناس وتوجهت بهم الى درجات عالية من الوعي و السموّ الروحي .. عشقت الجماهير هذه المرجعية وذابت بها ، حتى أضحت هذه الشخصية وهذه الطريقة في إدارة المرجعية هي الشكل القياسي الذي يريده تيّار واسع من المؤمنين ، لأنهم ذاقوا طعمها وعاشوا ظلّها وتناغموا معها ، عاشوها بكل مشاعرهم ووجدوها تلبّي كل حاجاتهم ، وعقدوا عليها آمالهم .

عندما سُئل الكاتب الامريكي اليهودي (مايكل هارت) صاحب كتاب الخالدون المائة أو (الشخصيات المئة الأكثر تأثيرًا في التاريخ) بالإنجليزية The 100 Ranking of (the Most Influential Persons in History عن سبب وضعه للنبي محمد ص واله على رأس القائمة المئة .. ؟ في حين وضع النبي موسى عليه السلام بالتسلسل (6) في القائمة فأجاب : أن منهجية التسلسل تعتمد على الاكثر تأثيراً ، وعند المقارنة بين ما كان عليه اقوام الجزيرة في حينها من تخلف وعصبية وجاهلية وبين ما أوصلهم اليه

فيكون هو الاكثر تأثيراً من غيره ..

وعلى هذه القاعدة نستطيع ان نصنّف السيد الشهيد محمد الصدر بأنه الأكثر تأثيراً من بين علماء وفقهاء المذهب في القرن العشرين ، فالانقلاب الذي حصل في مجتمع الوسط و الجنوب العراقي كان أشبه بالمعجزة ، والتوجه الديني والا خلاقي والثقافي وصل الى أوجّه خلال سنوات مرجعيته وقيادته الدينية .

ولا نبالغ ان قلنا اشبه بالمعجزة ، لأننا شاهدنا بعض من لا يرتجى منه دين او منفعة اجتماعية بأنه اصبح في اعلى درجات الايمان والتضحية والجهاد ، واللّٰه لقد شاهدنا بعض الشباب التابعين لمرجعيته وكأنهم ملائكة تمشي على الأ رض .

من دوافع الحركه المتسارعة

لمرجعية الصدر الثاني بعد منتصف التسعينيات

إن من يطلّع على حياة وسيرة السيد الشهيد الصدر قدس سره سيجدها توزعت على شطرين واضحين هما :

الأول / وهو القسم الاكبر من حياته الشريفة ، حيث غلب عليه الحياة المتعارفة للولد في ظلّ أبيه وكنف أسرته ، و الطالب في رعاية أساتذته ، كان متفرغاً فيها للدراسة وطي مراحل الحوزة ، وكذلك ما عُرف عنه من اهتمام بالجانب العبادي وتهذيب النفس وخاصة في الفترة التي تتلمذ فيها على يد أحد كبار علماء السير والسلوك وهو الحاج المرحوم عبد الزهراء الكرعاوي ، والذي كان يكنّ له السيد الشهيد قدراً عالياً من التبجيل والإحترام ، بل اعتبره في أحد لقاءاته بأنه الأعلم في هذا الطريق بعد المعصوم في عصره .. ثم أن الكتابة والتأليف كان لها سهماً مهمّاً في حياته ايضا ، وبعد ذلك عاش في فترة الثمانينات عزلة اجتماعية وحوزوية موحشة خاصة بعد حادثة استشهاد السيد محمد باقر الصدر وتشديد قبضة النظام على الشعب عامة والحوزة العلمية وعائلة ال الصدر على الوجه الأخص وما رافقها من حرب الثمان سنوات مع الجمهورية الإسلا مية .. فشهد هذا القسم من حياته مرحلة الإعداد وتكامل الشخصية العلمية من جهة ، وضغوط الجانب السياسي والا جتماعي من جهة أخرى ..

الثاني / ويمكن القول أنه بدأ عند الدور القيادي والحركي الذي قام به أيام الإنتفاضة الشعبانية في العراق عام ١٩٩١ م ، ثم ما تلاها ببضع سنوات حيث تصدّيه للمرجعية العليا

وإدارة شؤون الحوزة العلمية والتصدي للعمل الاجتماعي الإ صلاحي الواسع ، ولمواجهة النظام الحاكم وبشكل كبير ومتسارع حتى قضى نحبه شهيداً سعيداً ، وسال دمه من أجل إصلاح الأمة وإنقاذ الشعب من براثن الجهل والإ نحراف والرضوخ تحت قبضة الظلم والطاغوت .

فأين يكمن السبب وراء هذا التغيّر ..! وما هي دوافع الحركة الأخيرة والخروج عن طريقته التي قضى بها اغلب سني عمره الشريف ..؟

والجواب : وبعد أن نعتبر التخطيط الإلهي العام والسنن العامة في خلقه والأخرى الخاصة بالمؤمنين أصلٌ يتفرّع منه كل شيء .. نقول اختصاراً اننا نحتمل ان هنالك ثلاثة دوافع رئيسية – آنية ومرحلية - كانت وراء هذه الحركة الشريفة والمتسارعة من حياة السيد الشهيد ، وهي :

- الدافع الاول : خلوّ الساحة من مرجعية عليا مهيمنة بعد مرجعية السيد الخوئي (قد) ، مع انضاج مرجعيته في نفسه ، فرأى قدس سره عند ذلك ترتب الواجب الشرعي عليه والقاضي بالتصدي لأمور الحوزة والمجتمع ، خاصة عندما نتعرف على الحال الذي كان عليه الشعب العراقي و التراجع الشديد في كل النواحي ، دينياً ودنيوياً وأصبح البلد كسجن كبير وسجّانه أطغى طغاة عصره .. فالدافع الأ ول اذن هو الواجب الشرعي الذي وجد السيد نفسه أمام مسؤولية اداءه وبراءة الذمة منه .

- الدافع الثاني : ضعف النظام وتخلخل قبضته بعد ان

تعرّض لصفعات دولية وداخلية ، كحرب الخليج والانتفاضة الشعبانية والحصار الاقتصادي في التسعينات واستشراء ظاهرة الفساد الاداري والمالي في الجيش واجهزة الدولة وبالتالي ضعف ولاءها للسلطة ، فإذا كان الدافع الأول بمنزلة المقتضي ، فإن هذا الدافع هو بمثابة رفع المانع ..

- الدافع الثالث : التفاف الجماهير حول مرجعيته المباركة وكذلك مناصرته من بعض طلبة الحوزة المخلصين ، علاوة على ذلك نجاح بعض خطواته وتغاضي الدولة عن بعض تصرفاته في أول الأمر وشجاعته النفسية التي كام يتحلّى بها .. أدت بالأمور الى ان تتسارع وتؤول الى خطوات متتابعه وناجحة وأحداث متسلسلة ومتصاعدة .. ولنعتبر هذا الدافع هو الشرط ..

وعند ذلك اكتملت الأركان الثلاثة لتحقق هذه الحركة المتسارعة والناجحة لمرجعية السيد الشهيد ، وهي : المقتضي (الواجب الشرعي) ، وعدم وجود المانع (الضعف النسبي لقبضة السلطة) ووجود الشرط (الالتفاف الجماهيري) .. وبهذه الأركان الثلاثة نتجت لما ظاهرة مرجعية فريدة من نوعها ، غطّت قيادتها ومسؤوليتها مساحة واسعة وانتشرت مكاتبها ونشاطاتها في أغلب مدن العراق ، وكانت تتصل بالقواعد بكل الوسائل المتاحة وتتفاعل معها في أعلى درجات التفاعل ..

ويمكننا أن نضيف التجربتين الحركيتين الكبيرتين لأستاذيه ؛ السيد الخميني قدس سره الشريف والتي تكللت

حركته بإقامة دولة إسلامية في إيران ، والسيد محمد باقر الصدر وثورته في العراق وإن لم تحقق أهدافها ولكن عززت العمل الرسالي الحركي في العراق .. فتأثير هاتين التجربتين لا يمكن إهماله على مجمل حركة ومرجعية الشهيد الصدر الثاني ..

من تأصيلات مرجعية الصدر الثاني (قد)

استطاعت مرجعية السيد الشهيد وبحركتها الواسعة وطريقتها المميزة والتي تفاعلت معها الجماهير أن تحقق الكثير من الانجازات الكبيرة والمهمة والوصول الى أهداف استراتيجية وطويلة الأمد والمنفعة رغم قصر فترة التصدي .

ومن النتائج الرئيسية التي حققها رضوان اللّه عليه هو تأصيل وتجذير بعض الأفكار والممارسات وجعلها جزءاً من حياة الأمة وأسلوباً أساسياً في حركتها بعد أن كانت هذه الأفكار والممارسات بحكم المنقرضة والمنسية والبعيدة عن دائرة التفكير فضلا ً عن التطبيق لأسباب كثيرة ومعروفة لكل من عاش أو اطلع على حياة المجتمع في تلك الحقبة وما سبقها .. ومما رسّخه وبنى أسسه وقواعده نذكر :

1. إعادة العمل بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلها من ممارسات شريحة واسعة من المؤمنين وبشكل دؤوب بعد أن كانت هذه الوظيفة الإ

إسلامية المهمة معطلة حتى على مستوى العائلة الواحدة فضلا ً عن المجتمع . فاستنكار الظواهر المنحرفة كالغناء وشرب الخمر وممارسة بعض الموبقات أصبح حالة منتشرة ، فنرى الشاب أخذ دور ا لأب في أسرته في الجانب الشرعي ، والطالب مارس دور الإدارة ، والراكب يمنع السائق من تشغيل شريط غناء ، وبدأ التدقيق في ذكاة السمك واللحوم وطهارة الطرشي والسبيرتو وجلود الملابس والأحزمة والأ حذية .. الى غيرها من المسائل الشرعية الدقيقة والا بتلائية ..

2. إعادة دور الحوزة في المجتمع وإعطائها المركز الريادي في حياة وحركة الأمة بعد أن تراجعت عن قضايا المجتمع الرئيسية وتقوقعت على نفسها ، فبدأت العمامة تأخذ موقعها المناسب وتشترك مع الجماهير في التفكير للخروج من أزماتها المتعددة .

3. رفع وعي الأمة ومستوى ثقافتها الإسلامية وزيادة شعورها بالمسؤولية الشرعية أكثر ، فبات المؤمن يحمل همّ أمته وليس نفسه فقط ، مع تعميق البعد الا خلاقي والعقائدي في سائر الاعمال العبادية ، الفردية منها والاجتماعية .

4. كان للقضية المهدوية حصتها من هذا التغيّر الا جتماعي الكبير ، ولها حضورها الواسع من تفكير أفراد الأمة ، فباتت من المحاور الرئيسية في الحركة الإ

إيمانية للمجتمع ، وذلك بفعل حضور هذه القضية المباركة في عقل وروح وكتابات وخطب السيد الشهيد الصدر ونجاحه في زرع فكرة وواجب التمهيد لظهوره المبارك عند شباب الأمة ، وكان للموسوعة المهدوية الدور الأبرز في تحقيق هذا الهدف .

5. احياء بعض الممارسات والفرائض العبادية المنسية و المتروكة والمعطلة .. كإقامة صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم وفي أكثر من سبعين مدينة عراقية ، وكذلك انتشرت صلوات الجماعة في المدن والقرى وا لأرياف وإعادة سنّة الزيارة مشياً على الأقدام ، وكذلك تفعيل قضية التقليد والرجوع الى الفقهاء وإطاعة المرجعية في كل صغيرة وكبيرة ..الخ ، وفتح مكاتب المرجعية في المحافظات مع نشاطات متنوعة تقوم بها في المناسبات زغير المناسبات ، وانعكاس كل ذلك على حالة التدين والالتزام بالشعائر والفروض والأحكام الإسلامية بشكل عام ، كالصلاة والصوم ودفع الحقوق الشرعية .. الخ .

6. قوله بمبنى ولاية الفقيه العامة وممارسة هذا الدور فعلا ً في الأمة وبمساحة واسعة ، وإصدار بعض الأ وامر والتكاليف والأحكام الولائية ، بل فتح وفق هذا المنهج محكمةً شرعية .. قام بدعوة بعض شرائح المجتمع الى العودة الى اللّه ، كبعض موظفي الدولة وشيوخ العشائر والغجر ، انتقد بعض بروتوكولات الحوزة ، كتقبيل يد العلماء والتعالي عن تدريس بعض

الدروس الحوزوية ، وانتقد السدنة انتقاداً شديداً .. فأعطى من خلال ذلك دوراً مهماً وجديداً للمرجعية في الأمة وخاصة في العراق ، الأمر الذي فتح باباً واسعاً وأعطاه زخماً علمياً ومعنوياً وحتى عملياً بعد أن كان رأياً مقتصراً عن أروقة الحوزة فضلا ً عن تطبيقه في الخارج .

ولو أردنا التفصيل لطال بنا الكلام كثيراً ، وأن الجامع المانع لتعريف تلك التأصيلات والثمرات المتحققة هو القول بأن التدين بات الظاهرة الاجتماعية الأبرز في المجتمع العراقي أيام مرجعية السيد الشهيد الصدر قدس سره .

السيد محمد الصدر كاتبا

فيما يلي بعض الملاحظات التي ترقى الى مستوى البحث دوّناها بمناسبة أسبوع السيد الشهيد الصدر في مجموعة (كيف وماذا نقرأ على الفيس بوك) تزامنا مع ذكرى استشهاده قدس سره حسب التاريخ الميلادي (١٩ / ٢)

واخترنا جانب الكتابة من شخصيته لأهميته باعتبار آثاره العلمية من أهم ما خلفه لنا قدس سره وكذلك لمناسبته وتخصص المجموعة اعلاه واهتماماتها .. وستكون هذه الملاحظات تحت عناوين أيضا وكما يلي :

** (ملاحظات مهمة لقارىء كتب السيد محمد الصدر)

لكل كاتب متمرّس وله نتاجات كبيرة بنوعها وكمّها مفاتيح مهمة لفهم ما يكتبه وتحقيق أعلى فائدة مرجوة من عطاءه الأدبي والعلمي ..

والسيد محمد الصدر الذي عُرف كاتباً قبل أن يُعرف فقيهاً من هؤلاء الكتّاب الذين تحتاج تصنيفاتهم إلى بعض المفاتيح الهامّة ، سأحاول وضع بعضها هنا على قدر ما اعتقده واستحضره :

1. قراءة جميع او اكثر كتبه رضوان اللّه تعالى عليه من أهم مفاتيح فهم فكر السيد ومقاصده وفك رموز كتاباته أو فتح مغاليقها . لأنه سيتولد عند القارىء إنطباع عام لشخصية الكاتب وخلفية أفكاره ومدى عمقها وأبعادها الممزوجة بالثقافة العامة (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية .. الخ) والثقافات الخاصة الحوزوية و الروحية والعرفانية والاخلاقية .. الخ . فالكاتب الذي يتميز ببعد معرفي واحد يمكنك قراءته من كتاب واحد أو إثنين ولكن المتعدد الثقافة والتخصص يحتاج إلى جولة مكوكية في كتبه لتخرج بحصيلة نافعة وصادقة عنه ..

2. تكرار قراءة أغلب كتبه ، فثبت عند الكثير أن إعادة قراءة كتبه نافع ومثمر جداً ، ويجعلك في كل مرة تخرج بحصيلة ثمينة من الأفكار والمعلومات .

3. بعض كتب السيد الشهيد لا يكتفي بالقراءة وتعددها ولا تشفع له قراءة باقي كتبه ..! وإنما يحتاج إلى دراسة منهجية وبحث علمي في أوراقها وأروقتها للخروج بمستخلصات هي أغلى من الذهب والماس ..

4. أنصحك يامن تقرأ للسيد الشهيد اول مرة أن لا تأخذ النتيجة التي يخرج بها مسلمة ، لأنه غالباً ما ينقضها بعد لحظات بنفس قوة إثباتها .. وأقول لك أيضا لا تركن لهذا النقض لأنه ربما يعمد إلى تضعيفها بل تنحيفها حتى يجعلها تناقض نقضها وهكذا ..

5. إذا شعرت عزيزي القارىء بأنك أمام عدد من الخيارات القوية والمقبولة .. فأعلم بأنك تواجه فتحاً علمياً فريداً وغريباً قد شق غباره السيد الشهيد ورسّخ جذوره ، أسمه نظام الاطروحة .. فلا تستغرب ..

6. كتبه تعتبر خطوة متقدمة في موضوعاتها بمعنى أن قارئها يحتاج إلى ثقافة تأسيسية في الموضوع ، وأن يكون عنده إلمام معتد به ، كونها لا تتكفل في أغلب الأحيان

بعرض أبجديات الموضوع أو أدبياته الأساسية وإنما يعمد مباشرة الى مستوى متقدم يعتمد على النقض والتحليل وطرح الأفكار الجديدة أو تنقيح بعض المطالب للموضوع وهكذا .. فأشار إلى ذلك هو قدس سره مثلا في مقدمة كتاب الأضواء (النقطة ثانيا) وكذا بالنسبة لكتاب منة المنان الذي طلب ممن يقرأه أن يكون بمستوى جامعي فما فوق ..

7. هو كاتب جريء لا يهاب التمرد حتى على المسلّمات أو التي يعتبرها الآخرون من البديهيات مادامت في نظره غير مسلّمة ولا مقدّسة ، ولهذا فكتاباته تحتاج إلى متلقي جريء أيضاً لديه استعداد قراءة لهكذا تمرّدات علمية ، وان لا يكون عصامياً حتى على مستوى الاطلاع على الرأي الآخر المخالف .

8. هذا الكاتب ليس نمطياً في كتاباته إطلاقا ، فمواضيعه التي يختارها وعناوين كتبه وطريقة عرض المواضيع وطرح أفكارها كلها تدبّ فيها حياة جديدة تطرد الملل وتعالج الكلل ، ولهذا انا ارى أنها تحتاج إلى شريحة من القرّاء غير النمطيين ولم تعتد على الكتابات الروتينية ، ومن كان على هذه الشاكلة فأنا على يقين انه سيغادر ما كان عليه ..

9. تجربتي مع هذا الكاتب الكبير اني أشعر بعد الإنتهاء من قراءة أحد كتبه بأنه أصبح عندي الإستعداد للكتابة والإبداع

أيضاً بنفس الموضوع وكأني قد ختمت دورة سريعة في كتابة مثل هكذا عنوان او هكذا موضوع ، ولهذا فمن يقرأه بنفس وروح تعلّم طريقة هكذا كتابة سيشعر بأنه يعيش حـ الة القارىء الفطن والملتقط لما وراء سطور الكاتب ..

10. واخيرا : لا تقرأ كتابات السيد الشهيد بانطباع سلبي على هذه الشخصية قد عملت عليها جهات معينة بقصد أو بدون قصد وإنما أقرأه بتجرد وستجد ما ينفعك ويسرّك ..

تلك عشرة كاملة ..

** (مقومات الكتابة الناجحة عند السيد محمد الصدر)

نجاح كتابات السيد محمد الصدر تبرهن عليه الحركة الثقافية المبهرة التي خلقها في المجتمع والمستوى العالي الذي أوصل إليه قرّائه ومتابعيه .. ونريد هنا تثبيت بعض المقومات التي نعتقد أنها كانت وراء هذا النجاح :

1. اختياره لمواضيع مهمة تعاني المكتبات نقصاً في بابها ، وهذا ما أشار إليه مثلا ً السيد الشهيد الصدر الاول في تقديمه لموسوعة الإمام المهدي عج ، وكذا أشار هو قدس سره من قريب أو بعيد في أغلب مقدمات كتبه وإصداراته ، وهي حقاً كذلك وليس من باب الترويج أو ما شاكل .

2. إستخدام اسلوب الاطروحة في كتاباته ، وهذا الأسلوب قد أصلّه وأبدع فيه في مجال الكتابة والبحث ، فهو يعتمد على نظام الاحتمالات حيث تتعدد الأجوبة المحتملة لكل سؤال واستفهام ، وأن كل جواب يعتبر احتمالا ً قائماً بنفسه لما تحف به من قرائن وأدلة تساعد على قبوله وتثبيته كجواب للسؤال المطروح ويترك للقارىء والدارس ا لاختيار والترجيح .

3. تخصصه في كل موضوع وعنوان كتب فيه ، فلم يكن هاوياً أو مثقفاً عاماً يجيد الالتقاط والكتابة ويستهويه التأليف والتصنيف ، فعندما يكتب في ما وراء الفقه فلأنه فقيهاً ، وعندما يكتب في الأخلاق والعرفان فلأن له باع في هذا المضمار وكذا حين يتناول القضية المهدوية أو الحسينية فلأن العقائد هي من أصول الدين والمذهب الذي اعتنقه وأصبح مرجعاً للآخرين فيه ..

4. الكتب التي يكتبها علماء كبار يفهمها العامة وتتناغم معها عقولهم وتروي ضما أرواحهم قليلة ، وما حصل مع كتاباته هو من هذا النوع لشريحة عريضة من قراءه .

5. نجاحاته الباهرة في الحوزة والمجتمع رجعت إيجاباً على نتاجاته بل على كل حركة وسكنة قام بها ، فلقد عشقته الجماهير وانبهرت به مما خلقت تفاعلا ً إيجابياً رائعاً مع كتاباته يتوق اليها كل كاتب .

6. من مقومات النجاح عنده هو غزارة أدوات الكتابة لديه اللازمة لبيان الفكرة او اكتشافها أو إثباتها أو نقضها أو الأ دوات اللازمة لتشويق القارىء وشدّه لكتابه وهكذا ، فهو با لأخير أستاذ في علم الأصول وعلم المنطق والبلاغة والنحو وكثير من العلوم التي اختمرت لديه بحكم تخصصه واهتمامه الأول وأقصد الحوزة العلمية ، فهذه العلوم تجعل من يفهمها ويجيد استخدامها متمكنا من فنون عدّة ومنها الكتابة والتنظير والإقناع ..

7. عنصر التحدّي ، فكان السيد الصدر كتلة من التحدي في جميع مجالاته العملية والعلمية ومنها كتاباته وبحوثه ، فيكتب منهج الأصول مثلا ً ويتحدّى من يأتي بمثله ويسطّر كتاباً يدافع به عن الأفكار المغلوطة في تفسير القرآن والتي تبنّاها جهابذة المفسرين ، بل يتحدّى حتى منهج التفسير ..! فلا يبدأ من الفاتحة إلى الناس كما هو متعارف ، بل يبدأ بداية قهقرية عكسية – أي من الناس الى الفاتحة - ، وهكذا يحوم حول خفايا الفقه العلمية و الفلسفية والعرفانية .. الخ ، ناهيك عن تصدّيه العلمي الشهير وإعلانه الأعلمية ، اما تحدّيه لطاغية زمانه فهو نار على علم ، كل هذا يجعل منه كاتباً استثنائياً يتوق القراء له ولما يخطه يراعه .

8. استطاع أن يدخل شريحة قرائه في مجالات لم يدخلوها سابقا ولهذا فوجدوا متعة ولذة العوالم الجديدة

التي ولجوها من جهة وجعلتهم يضعون من له الفضل عليهم في ذلك في منزل سامي من نفوسهم وعقولهم وانطبعت نظرتهم على المجالات هذه ببصمة السيد محمد الصدر وما رسمه هو لهم عنها .

9. إنطباع شخصيته على كتاباته ، فأكثر المؤلفين (وبالا كثرية الساحقة) تكون شخصيتهم مجهولة عند قرائهم إلا من حيث ما يكتبوه ، فيعرفون أفكارهم ومتبنياتهم وثقافتهم لا اكثر ، أما السيد الذي عرفته الجماهير بطلعته البهية وصوته الحاني وحركاته المحببة للنفس ، وشاهدوا شجاعته وتحسسوا اخلاصه وعزيمته .. الخ كل ذلك يجعل القارىء يعطي اعتباراً أكبراً لما يكتبه هذا المؤلف الشاخص أمام عينه والمتربّع على مجامع قلبه وروحه .

10 . وأخيراً : مقوّمات الكتابة الناجحة للسيد الشهيد هي جزء من مقوّمات ظاهرة وحركة ونهضة علمية وإجتماعية وروحية باهرة النجاح يعجز الدهر عن تكرارها دائماً قد أحدثها السيد في الأمة ..

هذه عشرة كاملة أخرى

** (القراءة الجيدة وراء نبوغ السيد محمد الصدر كاتبا)

السيد الصدر قارىء جيد ، وهذه القراءة الجيدة من اسباب

تفوّقه في الكتابة ، وسنشير إلى بعض ما يدلّ على ذلك :

- فمثلا نجد أن موسوعة الإمام المهدي عج هي نتاج قراءة كتيب خاص عن الإمام كما يذكر هو قدس سره ذلك ، فتصور مستوى القراءة التي تنتج هكذا تصنيف عظيم هو ا لأول في بابه من خلال مطالعة كتيب صغير دفعته إلى البحث والتحقيق والتوسع وفتح آفاق جديدة في الموضوع ..!!

- وكذا لو اطلعت على كتاباته فستجد انه لا يستعين كثيرا بـ المصادر استعانة نصية وإنما تجد أن مطالب المصادر وافكارها حاضرة في ذهنه ويشرع بمناقشتها أو عرضها خلا ل الكتابة ، ففقه الأخلاق صدر بدون هوامش مصدرية على غزارة النصوص والافكار المقتبسة ، حتى عمد أحد طلبته إلى إرجاع النصوص والأفكار إلى مصادرها بجهد تحقيقي من قبله ، ولقد ذكر ذلك السيد في مقدمة الطبعة الثانية مع السبب الراجع إلى الإقامة الجبرية حينها وانعدام المصادر ، وكذا الحال بالنسبة لكتاب ما وراء الفقه الذي ذكر في مقدمته انعدام المصادر رغم العلوم المختلفة التي ربطها بـ الفقه فيه ، ويصرح في مقدمة الطبعة الثانية لكتاب الأ ضواء أنه كتبه اعتماداً على حافظته فقط لقلة المصادر المتوفرة عنده .

- ليس سعة الاطلاع عنده بأهمية بقدر نوع القراءة وكيفيتها المنتجة للقارىء الجيد ، ولقد صرّح هو بذلك

عندما وجه له سؤال معروف عند مقلديه حول قضية معينة ، وكيف لا يكون كذلك وهو تلميذ السيد محمد باقر الصدر الذي يقرأ ساعة ويفكر بما قرأه باقي ساعات يومه وليلته كما أجاب هو بذلك في جواب مشهور لسؤال وجهه له السيد كمال الحيدري .

- رغم ما اثبتناه في الفقرة السابقة إلا أنه قدس سره كان ذا اطلاع واسع على علوم جمة ، وما يثبت ذلك هو دورته (ما وراء الفقه) والتي بها ربط الفقه بعلوم كثيرة ، منها الفلسفة واللغة والنحو والمنطق والفلك والفيزياء والكيمياء والطب وعلم النفس وعلم الاجتماع والرياضيات وغيرها من العلوم وكثير من المعلومات العامة ، مما يدلّ على اطلا عه وثقافته الواسعة بكل تلك العلوم .

وغيرها الكثير من الأدلة لمن أراد الاستقراء على أنه قارىء بمستوى عال وان قرائته العالية هذه أنتجته كاتباً مرموقا ..

** شريحة قراء السيد محمد الصدر ، نظرة عن كثب

انفجرت مساحة قرّاء السيد محمد الصدر بعد تصديه الكبير للمرجعية الدينية في النجف الاشرف ، نريد أن نركز على هذا النوع بالتحديد من القرّاء ، ونترك قرّاءه قبل ذلك لندرتهم في الواقع نوعاً وكمّا .. وسنحاول كما هو طريقتنا في هذه سلسلة هذا الموضوع أن نجعلها ضمن نقاط :

1. أكثر قراءه (ضمن هذه الشريحة التي تكونت بعد تصديه للمرجعية كما قلنا) لم يكن اغلبهم قبل ذلك من شريحة القراء وممن شغفتهم بطون الكتب ورفوف المكتبات ، وإنما دخلوا لهذا العالم من خلال السيد محمد الصدر وحركته العلمية والثقافية والاجتماعية والدينية التي خلقها داخل أوساط المجتمع ونجح بها ، وعليه فهذه الشريحة كقراء تعتبر من إنجازات السيد الصدر ونجاح حراكه في المجتمع .

2. هم بالأساس وحسب المعطى في النقطة (1) يعتبرون من القراء والمثقفين الإسلاميين حيث بدأوا بشغف كبير للقراءة ونهموا الكثير من الكتب الإسلامية وما يرتبط بها من كتب في اختصاصات أخرى علمية وإجتماعية ونفسية .. الخ . فراجت بفضلهم حركة الكتب رواجاً كبيراً ، اقتناءً واستعارةً واستنساخا ..الخ

3. لم يكونوا قراءً تقليديين ، فلم يدّخروا جهداً في قراءة كتب السيد محمد الصدر ، فقاموا بقراءتها مرارا ، وعقدوا الحلقات من أجلها ، وباحثوها ولخّصوها وأخذوا منها القواعد والمرتكزات النظرية والعملية ، حتى اختمرت خير اختمار في أذهانهم وأصبحت ولا زالت عند الكثير منهم المرجع والمرتكز العقلي والروحي لهم .

4. إذا كانت النقاط اعلاه تُحسب لهم ، فأريد أن أذكر نقطتين تحسب عليهم ..! ، والأولى هي التعصّب لكتب

وآراء وأفكار السيد محمد الصدر واطروحاته عند عدد منهم ، وهذا ما لا يدعوا إليه السيد الكاتب ولا يقبل به نفسه ، ولا ينبغي لهم أن يكونوا كذلك فإن السيد مهما يكن هو حلقة مميزة من حلقات تنامي العلوم وتطورها ، هو نفسه له آراء تختلف مع أفضل أساتذته فكيف يمكن أن نجعل منه نهاية لما توصل إليه الحقل العلمي البشري في الحقول التي تناولها ..؟!، بل صدرت منه رضوان اللّه تعالى عليه الكثير من الإشارات والتصريحات بأنه عدل عن كثير من الآراء و المتبنيات التي ثبتّها في كتبه بحيث لو أتيحت له الفرصة لأعاد بنائها وصياغتها ، كالموسوعة المهدوية مثلا . والثانية هو ما يُحسب على بعضهم أيضا هو التوقف عن القراءة والا كتفاء بالثقافة التي زودتهم بها كتابات السيد محمد الصدر باعتبارها عالية المستوى وكل ما عداها يعتبر بالدون منها ، وهذا التوقف عجيب وان كان أقل عجباً من أولئك الذين توقفوا على تقليده بإعتباره قتركد لهم فقها يكفي لقرون .. !!!

٥. قلنا أن شريحة قراء السيد محمد الصدر هم من القراء الإ سلاميين ذوي الثقافة الدينية المعمّقة ، هذه الثقافة انعكست إيجاباً على الكتّاب والعلماء الإسلاميين والحوزات العلمية بصورة خاصة ، لأنهم أصبحوا أمام جمهور عالي المستوى ، يطرح أسئلة مهمة ودقيقة ، وينتظر أجوبة شافية ، ويطالب بضخ معلومات تتناسب مع عمق الإسلام وروحه التي تحسسوها ووضعوا أيديهم على بعض مكامنها ، فلم يعد الفقيه أو الحوزوي بنظر المجتمع متخصصاً بأخذ الاستخارة ، أو الإجابة على أسئلة أفضل ما توصف أنها متواضعة ، وإنما بدأت تتوجه إليهم أسئلة محرجة حول

بعض المواضيع الدقيقة ، كالاستنساخ البشري ونظريات دارون وفرويد وفيزياء انشتاين .. الخ ، إذن أصبحوا مطالبين بمستوى علمي أوسع وأعمق .

٦. أصبحت هذه الشريحة رافداً مهماً في المجتمع ، فمنها دبّت روح الدراسة في الحوزة الشريفة من جديد والإقبال منقطع النظير عليها ، ومنها خرج لنا كتاب إسلاميون مرموقون ، وأصبحنا نرى الطبيب الإسلامي والمهندس الإسلامي والمعلّم الإسلامي والموظف الملتزم ، بدأت البيوت تربّي أسراً إسلامية وتقتني مكتبات منزلية ، وأصبح الحديث في المنزل والسيارة والديوان لا يخلو من حكم شرعي أو لطيفة قرآنية أو قصةٍ لعالِم ..

٧. لا أبالغ إن قلت أن شريحة قراء السيد الشهيد هي من أخطر شرائح المثقفين على النظام الديكتاتوري في وقتها ، هذا النظام الذي استطاع أن يصقّي شريحة المثقفين الشيوعيين وشريحة المثقفين الإسلاميين الذين تأثروا بالسيد محمد باقر الصدر ، ولكنه لم يستطع أن يبسط سطوته على قراء ومثقفي السيد محمد الصدر لأسباب ليس محل ذكرها هنا ، فهم لم يتخلوا عن توجههم ولم يهاجروا بلدهم وإنما رابطوا وصابروا وهم ينخرون بعرش الطاغية وزبانيته حتى اهتز نظامه وضعف جَلَده وسقط مضموناً قبل أن يسقط شكلاً بمسرحية أمريكية .

٨. انا ادعو نفسي وكل من كان السيد محمد الصدر سبباً في

ثقافته وشخصيته الإسلامية الواعية أن يبقى متصلا ً بهذا الكاتب الرباني من خلال كتبه واستذكار حركته وإحياء مناسباته ، لأن أنفاسه المخلصة لازالت وستبقى منتجة ودافعة نحو كل ما هو نافع ورافع بفضل الله وأنفاسه رضوان الله تعالى عليه .

٩. واخيراً ، فإن كتابات السيد محمد الصدر وقراءه وحركته من الجانب الثقافي تستحق البحث والدراسة واستخلاص دروس وعبر وسنن اجتماعية وتاريخية مهمة لا ينبغي التفريط بها ..

من عوامل نجاح مرجعيته

نجاح مرجعية السيد محمد الصدر قدس سره الشريف وحركته المباركة لا يحتاج الى اثبات ودليل بعد أن نعرف هذا الأمر وجداناً ونلاحظ تحقيق أهدافه عياناً في جميع المجالات التي تحرك بها ، فمرجعيته المباركة كانت عبارة عن سلسلة نجاحات وانجازات اقتطفها في حياته واستشعرها ايام مرجعيته المباركة .

ولا نريد هنا ذكر تلك الإنجازات والأهداف المتحققة بعد أن بيّنا أهمها في الأوراق السابقة وخاصة تأصيلاته في المجالا ت التي عمل بها رضوان الله عليه ، وإنما سنحاول البحث عن أسرار وعوامل تلك النجاحات وأسباب التوفيق لتلك الا نجازات العظيمة .

وهذه المهمة من السهل الممتنع كونها حركة ومرجعية الهية تعتمد بالدرجة الأساس على الألطاف الإلهية وكفاها اسباباً وأسرارا .. ولكننا بنفس الوقت لا ننفي وجود بعض العوامل التي هي أسباب لتلك الألطاف أصلا ً وبمنزلة أسباب الأ سباب ، علاوة على وجود اسباب ظاهرية جرت عليها سنة الكون حيث شاء الله أن تجري الأمور بأسبابها الطبيعية التي اودعها الله في الخلق ، وهذا ما نجده ايضاً في جميع

حركات الأنبياء ،

فهم صلوات اللّه عليهم من ابرز اشكال الحركة الالهية وذات المدد الإلهي الواضح والوافر ولكن بنفس الوقت لم يتركوا القوانين الكونية والمؤهلات التي أودعها اللّه سبحانه وتعالى في الإنسان ، فلأن نجح المسلمون في معركة بدر بسبب المدد الالهي بالملائكة ، الا انهم تركوا قانونا من قوانين الحرب في معركة أحد ونزلوا عن الجبل وأوجدوا فجوة استغلّها العدو إستغلالا ً صحيحاً وفق فنون الحرب المعروفة فانتصر ونجح وكان الفشل من نصيب المسلمين . وهذه حقيقة ينبغي ادراكها ، فعلينا أن لا نوكل أمورنا إلى اللّه جل وعلا ونحن متقاعسين ومهملين لطاقتنا الفكرية و الجسدية والروحية ، فالعقل هو بالأصل مدد الهي وعلينا أن نستغلّه استغلالا ً صحيحاً وأن لم يسعفنا نلتجأ الى اللّه جل وعلا ونطلب منه العون والإستزادة من لطفه وعونه .

سنحاول ذكر بعض تلك العوامل والأسباب التي سببت نجاح حركة ومرجعية الشهيد السعيد قدس سره ومنها :

العامل الأول : الاخلاص ، وهو من اسرار نجاح وكمال الا عمال الالهية والتي يقصد بها وجه اللّه تعالى ، وكلما كان العمل اكثر إخلاصاً لله ونفياً لشرك الأغيار كلما كان أكثر تزكية ، أي أكثر طيبة ونماء .

العامل الثاني : الايمان والثقة بنهضته واهدافها المرجوة وقضيته التي يتبناها ، وهذا من ضروريات كل حركة أياً

كانت دوافعها واهدافها ، ولقد زاد من هذا العامل قوة هو ايـ
مان اتباعه ومقلديه بحركتهم ومرجعيتهم .

العامل الثالث : التوكل العالي والمنتج للشجاعة وقوة القلب في مواجهة التحديات والمصاعب الواقعة في طريق تحقيق الأهداف رغم شدّتها أحياناً وعدم الإكتراث بنتائجها مادامت على حق وضمن النتائج المرجوة .

العامل الرابع : الإستغلال الصحيح للفرص المتوفرة و التوظيف الواعي للإنجازات المتحققة وجعلها مقدمة لإ نجازات لاحقة وهكذا وبشكل متسلسل .

العامل الخامس : تميزت مرجعيته بصفة التجديد والتغيير لواقع سقيم قد سأمه الناس وعانوا من تماديه ، وهذه الصفة (التغيير والتجديد) من شأنها استقطاب الأنصار وا لأعوان والمريدين أملا ً في فسحة أمل وفرج في هذا الواقع الجديد . ولقد نظّر الشهيد محمد باقر الصدر هذه الخصيصة وعمل بها وجعلها من أخلاقيات الإنسان العامل ، حيث يقول قدس سره في احدى محاضراته : المظهر الثاني من مظاهر اخلاقية الإنسان العامل الاتجاه إلى التجديد في اساليب العمل .... الأمة اليوم غير الأمة بالأ مس في مستواها الفكري ، في مستواها الأخلاقي ، في علا ئقها الاجتماعية في اوضاعها الاقتصادية ، في كل ظروفها ، الأمة اليوم غير الأمة بالامس ..

العامل السادس : التعامل مع الجنبة الصالحة من الانسان واستثارة كوامنه الخيرة وبشكل دقيق ، فأصبحت مرجعيته (مرجع ومقلد) تلتهب بطاقة ايمانية عالية وأنفاس ملؤها الخير والصلاح بحيث كان تأثيرها بالآخر سريع ونتائجها آنية وعاجلة ومحسوسة وبلذّة منقطعة النظير عرفها كل من عاشها .

العامل السابع : ميدانية مرجعيته ، فلم تكن مرجعيته مقتصرة بطبقة دون أخرى ، ولم تكن نخبوية ولا حوزوية فقط ، وانما شعبية جماهيرية بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى ، ولكون أهداف مرجعيته كانت ذات صفة اجتماعية اصلا فنحقق المطلوب بسرعة فكان عمله في الساحة المناسبة والبيئة الملائمة للنتائج المطلوبة . ونحن اذا نتكلم عن هذا العامل نريد به بالضبط ما اشار اليه ايضا المفكر الا سلامي محمد باقر الصدر حينما دعى إلى التفكير بطريقة العقلية الاجتماعية لا العقلية الرياضية من قبل المؤمن العامل حيث يقول : اننا حينما نفكر في اساليب العمل ، يجب أن لا نفكر في اساليب العمل بعقلية الأصول والفقه ، يجب أن لا نفكر في اساليب العمل بعقلية (الترتب) واستحالة اجتماع الأمر والنهي وبعقلية رياضية ، هناك عقلية رياضية وهناك عقلية اجتماعية ، يوجد نوعان من التفكير ، تفكير رياضي وتفكير اجتماعي . التفكير الرياضي : هو التفكير الذي لا يقبل حقيقة من الحقائق الا اذا كانت كل نقاط الضعف فيها قد أزيلت بـ البرهان القوي الواضح الذي لا يقبل الشك والجدال .... العمل الاجتماعي : يقوم على اساس الحدس الاجتماعي ، و

الحدس الاجتماعي يتكون من الخبرة والتجربة ومن الاطلا ع على ظروف العالم وملابسات العالم .. اذن يجب أن نفتح أعيننا على العالم ، يجب أن نعيش الخبرة والتجربة في العالم ، يجب أن نفكر في اساليب العمل لا بالطريقة التي نفكر فيها في اساليب الاصول ... الطريقة المفضلة في التفكير الأصولي أن نجلس في غرفة خالية واما العمل الا جتماعي فيحتاج إلى حدس اجتماعي ، والحدس الا جتماعي يتكون من خلال التفاعل مع الناس . (المحنة وحب الدنيا ص ٦٧) .

العامل الثامن : كاريزما القيادة ، فإن لديه قدس سره جاذبية عالية وقابلية على ميل الآخر اليه والانشداد نحوه بقوة بحيث تأثرَ الشارع بطريقة كلامه ومشيته وكثير من حركاته ، ولا ننس أبداً طلعته القدسية الربانية وتلك الشيبة البيضاء التي طالما تكحلت عيون المؤمنين بها ، فكان بحق أباً للمجتمع وملهما له بسكونه وحركته ونظرته واشارته .

الواقفة الجدد

(1)

الواقفة : اسم ينعت به عقائدياً وتاريخياً الذين وقفوا على إمامة بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام وبالأخصّ الذين وقفوا على إمامة الإمام السابع موسى بن جعفر عليه السلا م ولم يتعدّوا إلى الأمام الرضا عليه السلام ولم يؤمنوا بإمامته ، مدّعين أن الإمام الكاظم عليه السلام هو القائم من ال محمد وأنه لم يمت ..

ذكر التأريخ سبباً أساسياً لهذا الانحراف العقائدي متعلقاً بحب المال الذي كان يصل إلى الأمام الكاظم عليه السلام حيث استغل بعض أصحاب النفوس الضعيفة مصاب استشهاد الإمام الكاظم عليه السلام وادّعوا انه عليه السلام هو الإمام القائم لكي يحتفظوا بالأموال الضخمة التي بحوزتهم ولا يعطوها للإمام الذي بعده ..

غير أن المرجع اليعقوبي (دام ظله) رجح سبباً آخراً غير سبب المال ، وهو حب الجاه والسلطة ، حيث قال دام ظله (والذي فهمته من بعض الروايات أن سبب انشقاقهم شيء آخر لم يؤشّر بوضوح في كتب الرجال حاصله أن هؤلاء المؤسسين اختطوا لأنفسهم منهجاً فكرياً وعقائدياً اشتهروا به وأصبحوا رموزاً في الوسط الشيعي من خلاله ولم يوافقهم الإمام الرضا (عليه السلام) عليه فاستكبرت أنفسهم عن طاعة الإمام والتخلّي عن هذا المنهج ورأوا أن المحافظة على رمزيتهم والجاه الذي حصّلوه من خلال هذا المنهج لا يتحقق إلا بإنكار إمامة الرضا (عليه السلام) فابتدعوا عقيدة (الواقفة)) ..

(٢)

قلنا أن سماحة المرجع اليعقوبي يرى أن حبّ الجاه و السلطة والرمزية كان سبباً مهمّاً وراء نشوء وبقاء عقيدة الواقفة المنحرفة ، وان هذا السبب مقدّم على حب المال بل

الأخير نتيجة من نتائج السبب الأول ..

فالرمزية والوجاهة والأهمية والمنفعة التي يكتسبها البعض في ظل قيادة أو إمامة معينة تدفع بصاحبها أن يحتفظ بها ويحاول أن يحوز أكبر حصة ممكنة من وجاهة وزعامة القائد أو الإمام بعد غيابه ، باعتبارها جاهزة وأنها لقمة سائغة وطبخة ناضجة ، وهذا الشيء لا يكون إلا عن طريق اختراع وابتداع طريقة أو فكرة معينة تضرب وتطعن بـ
ا القائد الحقيقي الجديد وبنفس الوقت تحقق الغرض ..

تطرق سماحته بعد تثبيت هذا الرأي إلى موقف الإمام الرضا عليه السلام منهم وسياسته معهم حيث قال : [أن الإمام (عليه السلام) صبر طويلا ً عليهم وأمهلهم زمناً لعلّهم يثوبون إلى رشدهم فلم يصدر منه بيان مفصّل لحقيقتهم وعاقبتهم ، قال (عليه السلام) (ولولا ما قال أبو جعفر (عليه السلام) حين يقول لا تعجلوا على شيعتنا إن تزل قدم تثبت أخرى وقال مَن لك بأخيك كله : لكان مني من القول في ابن أبي حمزة وابن السرّاج وأصحاب ابن أبي حمزة) ، ولمّا تمادوا في غيّهم وتمرّدهم صرّح الإمام الرضا (عليه السلام) بموقفه فقال في ابن أبي حمزة - وهو أحد رؤوس الواقفة - (أليس هو الذي يروي أن رأس المهدي يُهدى إلى عيسى بن موسى؟ وهو صاحب السفياني ! وقال إن أبا إبراهيم يعود إلى ثمانية أشهر ؟! فما استبان لكم كذبه ؟)] .

إذن : لم يبادر الإمام الرضا عليه السلام للتعرض لهم إلا بعد تماديهم في غيّهم وأصبح السكوت عنهم يشكل خطرا .. وهذا درس عملي نأخذه من الإمام عليه السلام في مواجهة الأفراد والجماعات التي تنحرف عن المسار فكرياً أو عقائدياً أو تطبيقيا ..

بعد ذلك : ذكر سماحة الشيخ ما مضمونه أن مسألة ظهور زعامات وقيادات بالعرض والتزاحم مع القيادات الحقيقية هي سنّة تاريخية ابتلى بها قادة الإسلام منذ رحيل الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وإلى الآن ، وهذا نص ما قاله (هذه واحدة من المشاكل التي تواجه قادة الإسلام على مرّ العصور سواء في زمان المعصومين (عليهم السلام) أو نوابهم بالحق) .

وتأسيساً على هذه السنّة التي بين شكلها وأسبابها وبعض طرق التعامل معها سماحة المرجع سنحاول الاستفادة منها من خلال تطبيقها على واقع عاشه اتباع مدرسة أهل البيت (أعزهم الله) في العراق خاصة بعد استشهاد زعامة ومرجعية كبيرة وفاعلة ومؤثرة في الحوزة العلمية و المجتمع العراقي وهي مرجعية السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره الشريف .. .

الوقوف على مرجعية السيد الشهيد محمد الصدر :

مرجعية السيد الشهيد مرجعية كبيرة وعظيمة بكل ما تتضمنه هذه الكلمة من معنى ، وأستطيع أن أذكر عظمتها في ثلاثة جوانب رئيسة تضمنتها وعملت بها هذه المرجعية واستطاعت أن تحقق الكثير من أهدافها :

الجانب الأول : الفقهي ، فكان قدس سره فقيه كبير كون فقاهته ترجع إلى مدرسة أصولية رصينة استطاعت أن تحدث طفرة كبيرة في موضوعها وهي مدرسة السيد محمد باقر الصدر قدس سره ..

الجانب الثاني : الأخلاقي ، فتميز السيد الشهيد بشخصية اخلاقية وعرفانية كبيرة واستطاع أن يأخذ هذا المسلك من أعظم رجل في هذا المجال بعد الأمام الغائب على حد تعبيره قدس سره ، وأكبر دليل على معرفته الالهية هذه هو النفوس والأجواء التي احترقت إيمانا وشوقاً للكمال أثناء مرجعيته المباركة وهذا من بركات وجوده ومرجعيته دام ظله ..

الجانب الثالث : القيادي والحركي ، فمرجعيته قدس سره كانت رسالية وحركية بإمتياز استطاع أن يربط المجتمع بـ الحوزة وينقاد لها انقياداً باهراً حتى استطاع أن يأمر

الجماهير في أيامه أن لا يقولوا قولاً ولا يفعلوا فعلاً إلا بعد مراجعة الحوزة .. فهو قائد رباني فذ .

تضلّع السيد الشهيد في الجوانب الثلاثة أعلاه جعل من مرجعيته مرجعية استثنائية .. غير أن الأمر لم يمر بسلام ، فالانبهار بمرجعيته والتأثر الكبير بها أوقع الكثير من أتباعه ومقلديه ومريديه في أخطاء كبيرة وخطيرة في أيام مرجعيته وما بعدها لا نستطيع التغاضي عن آثار هذه الأخطاء السلبية على الدين والمجتمع .

ومن أعظم هذه الأخطاء وأكبرها وأوضحها هو محاولة الوقوف والاكتفاء بمرجعيته ، وهذا الوقوف والاكتفاء انقسم على أقسام ثلاث ..

- قسم ادّعى أن السيد الشهيد هو الإمام المنتظر ، وهذا حصل في أيّامه ، وهؤلاء هم السلوكيون والذين فسّقهم قدس سره وفضح أمرهم على رؤوس الاشهاد ..

- وقسم آخر ادعى أن السيد الشهيد وضع فقهاً يكفي لخمسين عاماً ولا نحتاج إلى فقيه أو العدول إلى مرجع آخر ..

- وقسم ثالث لم يكن من المغالين ولا من المتوقفين فقهياً على السيد الشهيد ولكنه استقطع جانب القيادة وتوقف عليها ولم يقتنع بكل قائد لم يسير على خطى وإسلوب السيد الشهيد على الرغم من عدوله في الأحكام الفقهية الأخرى إلى مرجع آخر .

(٤)

هنالك قسم رابع ، وهم الذين بانت عليهم آراء وأفعال غريبة وهم من أتباع السيد الشهيد الصدر قدس سره تتلمذا وتقليدا غير أنهم لم يتوقفوا عليه بإعتباره الإمام المهدي عج ولا كتوقف فقهي وأنه وضع فقها كافيا ولا توقفا قياديا اذا جاز التعبير ، وإنما اشتهر عن هؤلاء انهم :

1. ترك تقليد الفقهاء البتة وأنه لا حاجة لهم وأن المؤمن يستطيع أن يقلد المعصوم مباشرة .
2. قيل بأنهم أدعوا منازل معنوية كبيرة سواء ما اتصل بـ العرفان ومسلكه أو ما كان يوحي انهم يتصلون بالإمام الحجة عج أو أحد القريبين له نسبا أو حسبا ..
3. اشتهر عنهم حرمة الوظيفة الحكومية واستحباب لبس الطاقية (العركجينة) وانتشار تدخين السيكارة بينهم وأمور أخرى ..

قلت اشتهر عن هؤلاء .. غير أني تحققت من الأولى في أول ظهورهم عن طريق أحد أبرز أتباعهم وهو تربطني معه علاقة نسب وزمالة دراسية وقد زرته انا ومعي إثنان من أصدقائي إلى بيته وصرّح لنا بأنه لا يحتاج للرسالة العملية وأنه يستطيع أن يأخذ من كتاب الكافي الشريف مباشرة وان الكافي كاف لشيعتنا .. وهكذا .

وحصلت معه في حينها مجادلة سريعة وبسيطة استطعت افحامه غير أنه لم يغير ما التزم به وقتها ..

أما فيما يخص النقطة الثانية فسمعت بها من خلال واسطة واحدة بيني وبينهم وهو محل ثقة .. وبالنسبة للثالثة فهذا مشاهد وملموس لكل من يعرفهم ..

(٥)

تطرقنا الى ظاهرة وقوف متعددة الأشكال صاحبت وأعقبت مرجعية السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره ، ووراء كل شكل من هذه الاشكال سبب أو عدة أسباب أدت إلى ظهوره وتماديه ، ونستطيع أن نقول أن أسبابها تنوعت بين :

1. الانبهار بشخص ومرجعية السيد الشهيد الذي أدّى إلى اعتقادات خاطئة وتصورات مغلوطة به قدس سره .

2. الإعجاب بمرجعيته بعد مقارنته بمرجعيات أخرى و التماس نتائجها و ثمارها الشخصية والإجتماعية .. الأمر الذي أدى إلى عدم القناعة بأي مرجعية أخرى لا تسير على نفس النهج والطريقة وتحمل نفس التفكير والتأثير ..

3. الاعتداد بالنفس من قبل شخصيات أو جماعات قد واكبت مرجعيته وتأثرت بها وبعضها كانت من أدواتها وحلقاتها الوسطية مع المجتمع مما أدى إلى العيش في أجواء الرمزية ومشاكلها السلبية التي لا ينجو منها إلا من عصم الله .

4. ظروف العراق التي أعقبت سقوط النظام الديكتاتوري الحاكم والتي سمحت لظهور زعامات غير كفوءة وترويج معتقدات مغلوطة وادعاءات فارغة ..

5. غرور الدنيا وتسويلات النفس التي وجدت أن فتح دكان يحمل اسم السيد الشهيد جاذب كبير للزبائن والمتبضعة الذين فقدوا السيد الشهيد وأصبحوا بعده أيتاما ..

6. السذاجة والسطحية المنتشرة بين بعض الأوساط الإ يمانية جعلتهم لقمة سائغة لرؤوس هذه الحركات و الزعامات وأصحاب الادعاءات ..

7. عدم التصدي لهم تارة أو خطأ طريقة التصدي والمعالجة من قبل الحوزات العلمية أو المجتمع تارة اخرى أدى خلق بيئة مناسبة لهم .

8. سبب يرجع الى استشهاد السيد الشهيد المبكر و المفاجىء وعدم اكتمال مفاصل مهمة في مرجعيته التي أراد منها أن تكون خطاً جديداً داخل الحوزة والمجتمع التقليديين ، ففقدَ وهو قدس سره في طور تأسيس أركانها وعوامل صمودها أمام التيارت المعاكسة الجارفة .. علما أن السيد الشهيد أشار إلى القيادة التي ينبغي أن تمسك الحوزة وتقود المجتمع من بعده ، حيث ذكرها تارة بالاسم والعنوان وتارة بالشكل والمضمون غير انها أوّلت وكذبت واختلقت معاذير لتركها وعدم الالتزام بها ، وأنى لإشارت تكاد تكون عابرة أن تقف أمام كل الأسباب اعلاه .. فلقد رفع رسول الله صلى الله عليه وآله يد علي حتى بان بياض أبطه على حد تعبير الرواية وبايعه مئة ألف مسلم ولم يلتزم بوصيته فكيف بالسيد الشهيد ...؟؟!!

وهنالك أسباب أخرى لا تخفى على الباحث والمراقب ولا يمكننا البوح بها طبعاً وإنما اللبيب بالإشارة يفهم كما قيل ..

(٦)

في الختام لا بد من توجيه كلمة لجميع أصحاب وأتباع الوقوف على مرجعية السيد الشهيد قدس سره وهي بمضمونها ليس مني وإنما من متبنيات ديننا واعتقادات مذهبنا فأنا أقل من أن أنصح وأوجه ودوري هو النقل لا اكثر .. ولكن لا بد من بيان اني اختصرت كثيرا وراعيت بعض الأمور أكثر ..

اقول بعد التوكل على الله :

طاعاتنا والتزامنا بديننا ينبغي أن يقوم على الحجة الشرعية بغض النظر عن مطابقتها للواقع ولما يريده الله واقعاً أو عدم انسجامها مع رغباتنا وميل أنفسنا وما تنجذب إليه . فغداً عندما يسألني الله تعالى لم فعلت كذا أو لم لم تفعل كذا ينبغي أن يكون عندي جواب اعذر به أمامه سبحانه وتعالى بغض النظر عن صحة فعلي وتركي ..

ولهذا .. فالحجة الشرعية دعتنا الى تقليد السيد الشهيد في حياته ، ونفس الحجة الشرعية تدعوني إلى تقليد غيره بعد استشهاده أو الرجوع إليه بفتوى الحي الذي الزمتني به

الحجة الشرعية ..

فلو كان الفقهاء الاحياء كلهم أقل مستوى من السيد الشهيد فينبغي أن اتبع اجمعهم للشرائط وانتهى ..

وهذا ما يقول به السيد الشهيد نفسه ويفتي به ..

فالمذهب لا يتوقف على السيد الشهيد ولا على غيره .. فقضيتنا الأساسية هي ديننا ، والعلماء هم أهل البيت عليهم السلام ، وتعظيم هذين الثقلين هو همنا الأساسي وليس السيد الشهيد ولا مرجعيته رغم محلها الكبير من قلوبنا وعقولنا ، فطالما قال قدس سره اني لست مهمّاً بدمي ولا بلحمي وإنما المهم هو مذهب أمير المؤمنين ع ..

ولا بد من الإشارة إلى قضية فصل القيادة عن الفقاهة ، فهذا مسلك خطير في المذهب وغريب بنفس الوقت ، ف الفقيه يتدخل في تحديد حكم كل حركة وسكنة نقوم بها وتزداد حاجتنا إليه كلما كانت مهامنا وادوارنا أكبر وأوسع في المجتمع وليس العكس .. نعم يمكن أن يعيّن الفقيه ممثلين عنه في هذا العمل أو ذاك ويعطيهم بعض السعة في اتخاذ القرار المناسب في المهمّة الموكلين بها ، أما أن أقلّد ديني برقبة غير ما قامت عليه الحجة فهذا ما لم يقل به أحد وهو لعب في نار جهنم ..

مداخل مهمّة لفهم مرجعية السيد الصدر الثاني

مرجعية بحجم مرجعية الشهيد الصدر الثاني وبسعة حركته المباركه التي أنهت سكون الانفاس المقطوعة من خوف الطغاة وظلم العتاة لابد أن يكون لفهمها واستيعابها مقدمات تكون كمداخل تمهيدية تهيأ الراغب بسبر اغوار هذه المرجعية الربانية وتمكّنه من نيل عطاياها .. ومن بين أهم تلك المداخل :

الأول : ضرورة فهم واستيعاب وادراك حركة الانبياء على طول خط التاريخ .. ومعرفة سننها وقوانينها التي تعمل بها .. كون حركته قدس سره امتداداً لظواهر اصلا حية قادها الانبياء واتبعها الصالحون من الناس . ولقد ركز القرآن الكريم على تلك الحركات المباركة وتطرق الى بعضها بإسهاب ، ونوّه الى أهمية قراءة وفهم تلك الرسالات كمقدمة لازمة لفهم الإسلام كشريعة وكرسالة حياة على هذه الأرض ، قال تعالى (وكلا ً نقصّ عليك من انباء

الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) هود ١٢٠ .

فهذا اذن مفتاح مهم من مفاتيح فك الرموز وحلّ كثير من المعادلات الصعبة التي قام بها الائمة الأطهار ومن اقتدى بهديهم وسار على نهجهم ، ولعل الى ذلك أشار الامام الصادق عليه السلام عند زيارته لجده الحسين صلوات اللّه وسلامه عليه مخاطباً إياه : السلام عليك يا وارث آدم صفوة اللّه ، السلام عليك يا وارث نوح نبي اللّه ، السلام عليك يا وارث ابراهيم خليل اللّه .. إشارة منه عليه السلام الى ارجاع حركة ابي عبداللّه عليه السلام الى أسسها النبوية فكان بحق وارثاً لها ..

الثاني : استقراء واحصاء أدوار الائمة المتعدده وأهدافهم المتحدة في ظل ظروف الانقلاب على الاعقاب بعد غياب الرسول الاكرم (ص) ..هذا المدخل من ضرورات مذهب الحق الذي تميّزت ملامحه وافترقت عن باقي المذاهب و المشارب عندما انحرفت عن جادة الصواب وتركت أمر السماء ووصية الرسول الأكرم صلوات اللّه وسلامه عليه ، لم يكن مذهب ائمة أهل البيت ع كما يعرف اليوم الا الإسلا م الأصيل الذي حفظه خلفاء الرسول الشرعيون ولم يأتوا من عندهم لا بإجتهاد ولا بإستحسان ولا بأهواء ، وانما كلا مهم كلام جدهم رسول اللّه ، وكلام جدهم هو كلام جبريل عليه السلام ، وكلام جبريل هو كلام اللّه جلّ وعلا ..

ففهم ملابسات إفتراق باقي المذاهب والتيارات عن خط الأ مامة ومعرفة أحوال ومتبنيات هذا الخط الشريف ضروري لتحليل جزئياته ، وحركة شهيدنا السعيد من تلك الجزئيات الواضحة والبارزة في عصورنا هذه ، ولا يمكن ان نفهم

مرجعيته بمعزل عن الذوق الإسلامي الأمامي . فمرجعيته النائبة عن المعصوم قد اتسعت لكثير من مهام الامامة ولم تقتصر على دائرة التوكيل الضيقه ..

الثالث : ان يكون ممن يعيش حياة الانتظار الصحيحة في عصر غيبة الامام المهدي (ع) واستوعب التخطيط الالهي العام والخاص بهذه القضية المباركة ، وذلك كون تحركاته قدس سره كانت حلقة مهمة من حلقات التمهيد للظهور الميمون . فللغيبة أحكاماً وأوضاعاً تختلف ببعض الفقرات عن مجريات الأمور السابقة للغيبة ، فهنالك معادلات جديدة حلّت محلّ انقطاع الأمام ، وهنالك تغيّر في سلسلة الأ ولويات الاسلامية ، وهنالك تكاليف جديدة وأخرى تم تأجيلها .. الخ ، فالنظر لمرجعية السيد الشهيد بعين القضية المهدوية يختلف عن النظر اليها بحيثيات أخرى ..

الرابع : أن يكون حاملا ً لهموم الأمة ومكتوياً بنار الظلمة التي فجرت بين جوانحه ينابيع رفض انصاف الحياة واشباه المعيشة .

الخامس : ان يكون ممن هذب نفسه وطهر قلبه حتى اصبح من الذين يسعى نورهم بين ايديهم ويرون الاشياء بحقائق الايمان .

السادس : أن يكون مطلعاً على الظروف والملابسات التي كان يمرّ بها المجتمع العراقي عامة والحوزة العلمية خاصة ، وأن يتحرى عن دقائق الأمور وتفاصيلها .

السابع : قراءة كتب السيد الشهيد والإستماع الى كلماته المسموعة والمرئية .. تطلعنا على فكر هذا العالم الرباني

وتخبرنا عن أسرار عقله وروحه .

الثامن : معرفة النتائج التي تحققت والآثار التي انعكست على الأمة وعلى الحوزة ، والحالة التي أحدثها والانقلاب الذي حصل أبان مرجعيته على مستوى الظاهر والمضمون ..

التاسع : التحدي الكبير الذي واجهته مرجعية السيد الشهيد ، فلم تفرش السجادة الحمراء على طريق الشهيد الصدر الثاني وهو يسير باتجاه اصلاح الامة واعادة اسلمة المجتمع .. وانما واجه تحديات كبيرة صعّبت وعرقلت العمل وحالت احياناً دون تحقيق بعض الاهداف و المكتسبات .. ومن اهم تلك التحديات :

- النظام الطاغوتي الحاكم وقتئذ والذي كان يمثل اوضح تلك التحديات ، حيث مارس ضد مرجعيته انواع اشكال المضايقات له ولاتباعه في سبيل اجهاضها في اسرع وقت حتى تكللت تلك الممارسات بتصفيته ونجليه وكثير من اتباعه .

- الحوزة التي تخالف طريقة ومنهج ومتبنيات مرجعيته والتي مارست ضده انواعاً من اشكال التحجيم و التسقيط ، فضلا ً عن عدم الدعم والمساندة لا بقول ولا فعل .

- المجتمع : حيث يتضمن المجتمع شرائحاً تابعة للنظام واخرى للحوزة التقليدية وشرائح اخرى قد انجرفت

منذ زمن غير قليل بأفكار وتيارات منحرفه عن الاسلام وكذلك غياب الاسلام عنها كممارسة وتطبيق بل مخالفته جهاراً نهاراً في بعض الافعال والاقوال ..

العاشر : وأخيراً : الإنصاف هو من أهم أدوات ومداخل فهم وتثمين هذه المرجعية الكريمة وحركتها المباركة ، وإلا فعندما يكون المرء والأمة ظالمة لنفسها وللحقيقة فإنها سوف لن ترى الأمور كما ينبغي أن تراها ..

هذه الامور وغيرها من مداخل ومقدمات ومتطلبات فهم واستيعاب حركة شهيدنا الصدر وإلّا وبدون هذه الأدوات فمعرفته ستكون ناقصه وقرائته سطحية .. ! ، فلا نتحدث هنا نثراً أدبياً وإنما نقصد كل كلمة نقولها وكل مدخل ثبتناه ، لأننا بين يدي حركة ربانية وظاهرة بشرية لا تتكرر إلّا في أوقات محددة تختارها السماء . من الخطأ المنهجي أن ننظر الى مرجعية السيد الشهيد بنظرة شخصية ضيّقة أو مجتزئة ونعزلها عن تخطيط الهي عام ، ومن الظلم ايضاً أن نقيّمه وفق بعض المنطلقات التي تتحكم بها أهواء نفسية أو عقد باطنية او خلفيات متدنية لا سامح اللّه ..

من مدارك حركة الشهيد الصدر الثاني

لكل حركة إلهية كانت ام أرضية ، لابد أن يكون لها أسس

تنطلق منها وأصول تتحرك من عندها وملهمات تستند اليها في حركتها بإتجاه اهدافها ، فمجموع هذه (الأسس - والأ صول - والملهمات) هي مجموع المدارك التي تستمد شرعيتها منها ..

فمرجعية الشهيد الصدر التي حفلت بحركة دينية واجتماعية وعلمية وأخلاقية واسعة بإتساع اطياف وشرائح المجتمع حيث ألهبت الجماهير وحشّدت طاقاتهم بإتجاه أهدافها التي رسمتها لها لا بد أن يكون لها مدارك خاصة أدت الى هكذا مرجعية حركية مؤمنة برسالتها ومتفانية في تحقيق أهدافها ..

وسنحاول ان شاء اللّٰه تلخيص تلك المدارك بثلاثة أقسام رئيسية ، وكل قسم يتضمن مجموعة من المدارك الفرعية و الجزئية التي لا يمكن بالطبع احصائها الآن ولكن سنتطرق الى بعضها وكما يلي :

القسم الاول : الجانب العلمي (الفقهي) في شخصيته المقدسه ..

وقطعاً فإن صفته العلمية والفقهية هي أولى تلك المدارك التي يستند اليها في افعاله واقواله رضوان اللّٰه عليه ، وهي المستند الشرعي له ولمقلديه ، فنيله درجة الاجتهاد يعني حصوله على مجموعه واسعه ومعمقه من القواعد التي تستند الى القران الكريم وكلام المعصومين وأدلة العقل واستقراء اراء العلماء والفقهاء ..الخ ، وكل هذه الامور التي كوّنت شخصيته المرجعية والعلميه تعتبر من اساسيات

وأصول أعماله وتعتبر ضوابط لها ومقاييس يحدد وفقها تصرفاته . ولقد كان يؤكد كثيراً على صفة الإجتهاد في القيادة ، وله كلمة مشهورة في ذلك عندما يقول (المجتمع بدون المجتهد لا يساوي جحف أو حذاء قديم) .. وكان يؤكد فوق ذلك على أعلميته وسموّ كعبه في الاجتهاد الى الدرجة التي استطاع أن يُعلن بها بأنه أعلم المجتهدين الأ حياء ..! رغم الضريبة التي دفعها بسبب هذا التصريح الا أنه كان يجد بأن هذا الأصل هو حجر أساس مرجعيته العليا وولايته لأمر المسلمين ولزعامته الشرعية والروحية التي تتيح له النهوض بمهامّ جسيمة وخطيرة .

القسم الثاني : الجانب الاخلاقي .. وهذا الشق الثاني من المدارك التي انتهل منها قدس سره أهمّ أعماله وتحركاته ، وكانت اساس الروح والمعنويات العالية التي اتسمت بها حركته والتذ بها اتباعه ومريدوه .. فإمتاز قدس سره بروح قدسية وشخصية لها قسط وافر من المعرفة الإلهية سببت له نوراً يسير به ويكشف حقائق الامور أمامه . وايضاً نجده في هذا الجانب يعتبر نفسه من الشريحة المتقدمة من شرائح خط السير والسلوك وأنه تلقى المعرفة ممن يعتبره هو الأعلم في علوم الباطن بعد المعصوم ..

القسم الثالث : القضية المهدوية ، فكل من عرف السيد الشهيد واطلع على ثقافته العلمية والتربوية وكتاباته واهتماماته منذ بواكير عمره الأولى .. سيجد ان للقضية المهدوية أثر كبير في حياته الشريفة ، فنظّر لها وكتب بها وتحرّك وفق نظامها حتى أصبح يتحرك وفق معطياتها

وتخطيطها الالهي العام ، ونجد هذا واضحاً غي القواعد الشعبية التي ترجع اليه بالتقليد والقيادة بحيث جعل القضية المهدوية شغلهم الشاغل ، فرسّخ فكرة الانتظار و التمهيد للظهور الميمون وصحح مفاهيمها وأعطاها خطواتها العلمية والتطبيقية ، وكذلك جعل من الغيبة المباركة مصنعاً للوصول الى الأهداف الحقيقية ولم يجعلها مجرد ترقب سلبي وانتظار بدون عمل ، فشخصيته قدس سره مهدوية بامتياز ..

القسم الرابع : السيد الشهيد محمد باقر الصدر ، كان لهذا العالم الرباني والفقيه الأصولي والمجدد العظيم وصاحب الروح الحماسية والعقلية العلمية الجبارة والموسوعية و النبوغ الذي قل نظيره والابداع في كثير من مجالات وحقول المعرفة أثرها في بناء شخصية وعلمية السيد الصدر الثاني قدس سره الشريف وبالتالي ينعكس ذلك الأثر على مرجعيته وحركته المباركة ، فكان من طلبة السيد الصدر الأول المبرّزين ، وكان

يعتز به استاذاً ، بل استند في أصالة وتفوق شخصيته العلمية إلى اتصاله بهكذا استاذ ونهله من هكذا منبع ، بل كان يراه أعلم الناس في العلوم الظاهرية بعد المعصوم ، فرمزية الصدر الأول في نفس وروح وعقل الصدر الثاني جعلت منه مدركاً ومرجعاً مباشراً وغير مباشر لحركته الشريفة . فهذا المستند مهم وحاضر

في أقوال وأعمال الصدر الثاني وكان يعوّل عليه كثيراً بعد أن صقلت نفسه بخط وتيار أحدثه له استاذه وشق له الطريق وحاول أن يكمل المسيرة ، فأكملها بكل جدارة بل

أضفى عليها صبغته ونكهته الخاصة .

فهذا المربع الذهبي (العلمي والأخلاقي والمهدوي والمثل الأعلى) هو الذي شكّل شخصية السيد الشهيد المرجعية وكان منطلق سيرته وخطواته التي سارت عليها مرجعيته المباركة .

صلاة الجمعة

لا يمكن الحديث عن مرجعية السيد الشهيد الصدر الثاني بدون التطرق الى صلاة الجمعة ، كونها من أهم شعائر مرجعيته وأهم مظاهر الإحياء التي تبنّاها وأكثر الخطوات تفاعلاً مع الجماهير وتعاطياً معها ، من خلالها استطاع ان يستقطب المجتمع ويحرّك الشارع ويقود الجموع الغفيرة ، أطلّ على الأمة بخطبه وطلعته البهية التي تؤسر القلوب والعقول معاً ..

أقام صلاة الجمعة في مسجد الكوفة المعظم على مدى ٤٥ أسبوعاً ، ومعها أكثر من سبعين صلاة جمعة في مختلف مدن وأقضية العراق من خلال طلبته ووكلائه الذين ناصروه وساندوه وتحملوا معه المسؤولية الأمنية والاجتماعية الشيء الكبير ، فعانوا من مضايقات السلطة وأذى دوائر الأمن ومعتقلاتها ووسائل تعذيبها ، وبعضهم قدم دمه

وحياته في سبيل ذلك ..

كانت صلاة الجمعة معطلة في العراق ولقرون مضت ولا تعرفها أجيال متعاقبة من أتباع شيعة أهل البيت فضلاً عن إقامتها ، ولا ندري كم ستبقى من القرون ايضاً لولا أن يفتي بوجوب إقامتها السيد الشهيد ويتصدى هو بنفسه لأدائها وبأصعب الحالات وأشدّ الظروف ...!! ، وبفضل اللّه ومنّه فقد كانت الاستجابة لها سريعة من قبل الجماهير و الحضور كبيراً واستثنائياً خاصة في بعض المناطق المهمّة و الرئيسية ، كالكوفة وبغداد وباقي محافظات العراق في الوسط والجنوب ..

صادف إقامة أول صلاة جمعة في مسجد الكوفة المعظم بإمامة السيد الشهيد في ذكرى عيد الغدير الاغر وذلك بتاريخ 19 ذي الحجة 1418 هـ . وقبل هذا التاريخ أقيمت في وسط وجنوب العراق ..

قامت صلاة الجمعة بأكثر من دور ، وعلى رأسها دوران :

الأول / الدور التوعوي : فكانت منبراً يتواصل به المرجع مع الأمة ، ووسيلة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر تصل الى جميع وأعلى المستويات ، الدولة وأجهزتها ، والحوزة وطلبتها ، والمجتمع بكل شرائحه .

الثاني / تعبوي : حيث كانت المكان والزمان الذي يجتمع به القائد والقواعد المليونية ، وكانت موعداً لحماس نفسي وثورة على الكثير من الأمور التي يعاني منها المجتمع ، ثورة على النظام الحاكم وعلى الوضع القائم وعلى الا نحراف المنتشر والفقر المستشري ، ثورة على الجهل و التردي الروحي .. الخ .

وهذه بعض الكلمات حول صلاة الجمعة بلسان محيي الجمعة وشهيدها رضوان الله عليه :

١. [ولأجل هذا قلتُ أكثر من مَرّة، استمروا على صلاة الجُمعة حتى لو مات السيد محمد الصدر، لأنّه لا يجوز لكم، أن تجعلوا موت السيد محمد الصدر سبباً وذريعة لذلّة الإسلام والتشيُّع ، وتفرُّق الكلمة وكثرة المشاكل ، بل الحوزة الشريفة تبقى بعون الله ، وجُملة من المراجع يبقون بعون الله ، فتمسّكوا بالحوزة ، واستمروا على شرفكم ، وعزّتكم الدينية ، وشجاعتكم القلبية ، وعنايتكم بالمصالح العامة ، و لا يجوز أن يحول دون ذلك أيّ شيء ، حتى موت هذا العبد الخاطئ ، الذي هو السيد محمد الصدر . وكذلك يوجد فيكم الكثير ممّن يخطب على حدِّ تعبير الروايات ، ومن هو الصالح لإمامة الجماعة والجُمعة ، وليس إنّه حين يموت السيد محمد الصدر ، يموت الكلّ أعوذ بالله أولاً وبكم من ذلك] (الجُمعة (27) الخطبة الثانية .

٢. [من الناحية النظرية كنّا نقول وأنا سجّلتها في بعض

كُتبي أنّ صلاة الجُمعة تفيد للمجتمع وتحلّ مشاكله وتذلِّل صعوباته وتدفع إلى الاستقامة لانحرافاته (راجع فقه الأخلاق ، ج1 ص333 – 335) ، الآن أصبح شيئاً واضحاً بالتطبيق ولله الحمد ، الجُمعة هي اللسان الناطق باسم اللّه ورسوله وأمير المؤمنين وهداية للناس أجمعين ، كائناً من كان ، خطيب الجُمعة ، سواء كان سيد محمد الصدر أو غيره ، نسمع منهم الحقّ وندفع بهم الباطل ونرضي اللّه ورسوله والمعصومين (سلام اللّه عليهم أجمعين) ، وهذا ينبغي أن يكون واضحاً وأكيداً في أذهاننا جميعاً] الجمعة (6) الخطبة الأولى .

٣. [ومن هنا كانت صلاة الجُمعة شوكة في عين المستعمرين عامّة واسرائيل خاصّة لِما كان وما زال فيها عزّ المذهب والدين وهداية الناس والتسبّب إلى لَمّ الشعث وجمع الكلمة على الحقّ] الجمعة (35) الخطبة الأولى .

السلوكيون

جميع أو أغلب الحركات الرسالية التي قادها المصلحون الكبار من أنبياء وأوصياء وصلحاء .. عانت من مواجهة عدوين متزامنين ، الأول هو العدو الخارجي والصريح و المعروف ، سواء كان هذا العدو يمثله طاغي زمانهم أو المجتمع الذي يعيشون فيه .. ، والثاني هو العدو الخفي و الذي ينبثق من داخل إطار واجواء الحركة نفسها ، بسبب غلوّ او انحراف أو حب الدنيا أو أن العدو الأول استطاع ان

يخترق الحركة ويستميل بعض من ينتمي اليها .. الخ .

ولا تشذّ حركة السيد الشهيد الصدر في أيامه عن هذه السنّة التاريخية ، حيث ظهر من بين أتباعه وطلبته بعض المنحرفين أو ما يّدعون بالسلوكيين أو أصحاب السلوك المنحرف ، هؤلاء أدعوا بأن السيد الصدر هو الإمام الحجة بن الحسن المهدي .. ولقد وضح عقائدهم السيد الشهيد وفسّقهم وحذّر المؤمنين منهم في الخطية الثانية من الجمعة رقم (١٦) ، فلنرى ماذا يقول :

(في هذه الخطبة أود ان اذكر واتعرض الى ما يسمى بـ السلوكيين الذين اصبح أمرهم مشهورا وعلنيا لكي احذر المجتمع منهم وأحذر المؤمنين منهم وأحذر المسلمين منهم ، هل تعلم نواياهم؟، هل تعلم اهدافهم؟، هل تعلم عقائدهم؟، هل تعلم دينهم؟، لكي تصدقهم وتركن اليهم وتأخذ بقولهم ، مجرد انك تجده ظاهر الوثاقة والصلاح ويتكلم معك بعدة مفاهيم ملفتة للنظر ومعجبة لك حينئذ تركن اليه وتصدقه ، ولكن هذا أولها وأنت لا تعلم آخرها ، أي لوين راح ايوصلك اللّه العالم ، أنا اقول ان أولها بديع وآخرها شنيع ، هل تعلم انه يريد مصلحتك؟، او انه لعله يقصد اخراجك عن دينك وعن إيمانك وعن إسلامك وان يجعلك لقمة لجهنم وبئس المصير .

أنا أقول اتبعوا حوزتكم واتبعوا علماءكم واتبعوا القرآن واتبعوا كلام المعصومين (عليهم السلام) ، ما واحد منهم غشكم من هؤلاء ، أما واحد مشبوه يتكلم بأمور اخرى لا تفهمها ولا تعلم نتائجها فهذا ما ينبغي الحذر منه والبعد عنه

، وكل ذلك اي كلام الكتاب الكريم والسنة الشريفة بعيد كل البعد عن كلام هؤلاء الشذاذ المبطلين السائرين في غير طريق اللّه سبحانه وتعالى .

لو كان اللّه ، لاحظ ، لو كان اللّه تعالى يريد للمجتمع ذلك لبينه في كتابه الكريم ، اشعنده مانع قادر على ذلك مع العلم انه لم يبين ، ولو اراده النبي (صلى اللّه عليه واله) ، او المعصومون لقالوه للناس ولربوا الناس عليه وسلكوا الناس عليه ، كما يعبرون هذوله ، اذا كان التسليك واسعا كما يدعي هؤلاء فلماذا لم يسلك المعصومون اصحابهم؟، ولماذا لم يأمروهم بتسليك الآخرين؟، من هو الافضل ومن هو الاعلم هؤلاء ام المعصومون(سلام اللّه عليهم)؟، ومن هو فعله ارضى لله سبحانه وتعالى هؤلاء ام المعصومون (سلام اللّه عليهم) ؟ طبعا المعصومون (سلام اللّه عليهم).

خذوا بقول المعصومين وقول علمائكم وقول ثقاتكم وأهل الحل والعقد فيكم واحذروا هؤلاء وابتعدوا عنهم فانهم يخرجوكم عن دينكم ويبذروا فيكم بذور العقائد الفاسدة ويصوروا لكم الباطل بصورة الحق ويبعدوكم عن رضا اللّه سبحانه وتعالى وعن الجنة.

واذا كانوا يعتقدون برأيي كما يزعمون ويأخذون بقولي كما يدعون وانا المفروض اذا لم تسيطر عليّ النفس الامارة ب السوء ، أنا لا اريد لأي فرد الا الصلاح والفلاح ، فليغيروا ح الهم وليبدلوا حالتهم ومقالهم فإنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله الا خسارا .

هم عصوني في كثير من الامور المهمة ، واساؤوا فهمي في عدد آخر منها واضافوا من عند انفسهم عددا آخر منها وكل ذلك انا منه بريء في الدنيا والآخرة واسفا على سوء

العاقبة على هذه المجموعة التي كنا نتوقع منهم الخير و الصلاح فانقلب الى الشر والفساد والضلال . وسوف يقولون لكم وقد قالوا فعلا لكم وللمجتمع ان السيد محمد الصدر لا يقصد ما يقول وإنما يريد حفظ الظاهر وإنما يعمل بالتقية وان لنا اتصال باطني بالسيد محمد واننا نفهم مقاصده الواقعية وانه عميق بحيث لا تستطيعون ان تفهموا كلامه وكل ذلك من ، استطيع ان اسميها كلاوات شرعية وهي كذب محض وانا منهم بريء وانا منهم بعيد ، واصبحوا كلما انهاهم واردعهم فانهم يزدادون عتوا ونفورا . فانا اخاطب المجتمع المؤمن ذوي العقول الصافية والنفوس البريئة ان يقاطعوا هؤلاء ويتبرؤوا منهم ويبتعدوا عنهم بعد السليم من الاجرب ، وما لم يتب هؤلاء ولن يفعلوا لانهم غير مستحقين للتوبة.

صحيح ان الزهد مستحب وحب الدنيا رأس كل خطيئة ورين القلب ودغله مذموم ، الا ان هذه هي تعاليم ديننا الحنيف ولا دخل له بالتفاصيل والعقائد الفاسدة التي ذكرها هؤلاء ، وهل هم زهدوا في الدنيا وابتعدوا عنها ، صحيح هم زهاد اذا كانوا يدعون الى الزهد لا مو زهاد حبيبي ، دنيويين صرف ، وإنما يريدون بأعمالهم هذه وأقوالهم هذه الشهرة والسيطرة والمال وتكوين تكتلات وقلاقل في المجتمع وانا من كل ذلك بريء اعاذنا الله من كل مكروه.

واما هذا الذي يحتج به البعض عليّ من انك قلت في الجزء الثاني من فقه الاخلاق ، هذه العبارة القديمة التي هي موجودة في بعض كتب ابناء العامة ، من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، فكأنه إذن لا بد ان يكون للفرد شيخ مثل هؤلاء لكي يربيه ويدربه ويسلكه ، كأن هذه الرواية تشير الى هذه المجموعة بالذات ، أسفا على العقول القاصرة والتأويلات

الفاسدة .

اولا : انها ليست رواية اصلا وانما هي من موضوعات بعض الصوفية.

ثانيا : انني اذكر كثيرا من الاشياء والمفاهيم بصفتها اطروحة لا بصفتها امرا جزميا وهذه الفكرة منها.

ثالثا : انها على تقدير وجودها كرواية فهي رواية ضعيفة جدا ومرسلة ولا حجية فيها ولو كنا في الفقه والتفسير لرفضناها بالكلية.

رابعا : انه من الواضح اننا ان صدقناها فإنما يراد بالشيخ حينما يقال ، من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، اي من لا مربي له فمربيه الشيطان ، ليس المربي هو المربي الذي يدعوا اليه هؤلاء وانما كل شخص يهدي ويوجهه ويعلمه الخير والصلاح ، طبعا اذا واحد لا يوجد من يعلمه الخير و الصلاح فشيخه الشيطان لأنه تتسلط عليه النفس الامارة بـ السوء والشيطان ويذهب الى حيث لا رجعة هذا له باب وجواب ، لكنه من قال ان الشيخ هو الشيخ الباطني؟، لا ، هو الشيخ الظاهري الذي يدلك على طاعة الله وعلى ولاية امير المؤمنين واهل البيت (سلام الله عليهم)، ولا موجب لأ ن نفهم من الشيخ ، الشيخ في علم السلوك او علم الباطن او على الطريقة الصوفية ، كلا ثم كلا .

وأريد الان ان ذكر لكم جانبا من عقائدهم الفاسدة باختصار :

اولا : انهم تاركون لتعاليم الشريعة ، للصلاة والصيام وغيرها تأويلا للآية: ((وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99)) ، وقد جاءهم اليقين بزعمهم اذن فلا

موجب للعبادة .

ثانيا : انهم يرون انفسهم أعظم من النبي والقرآن إذن فلا موجب لطاعة النبي (صلى الله عليه واله) وطاعة القرآن .

ثالثا : انهم ينكرون يوم القيامة والثواب والعقاب في الجنة والنار، وإنما الثواب والعقاب في نظرهم نفسي وباطني وليس كما يقول الدين الاسلامي الحنيف من انه هناك حشر ونشر وقيامة وثواب وعقاب وجنة وجهنم ، كل ذاك غلط اي في نظرهم الفاسد.

رابعا : انهم يأمرون الناس بالتخلي عن عقولهم وعزل تفكيرهم والطاعة العمياء لهم ، اي لهم بصفتهم شيوخ سلوك وطريقة ، مع ان النتيجة الصريحة والأولية لذلك اي للتخلي عن العقل هو الكفر والالحاد لأن العقل هو الدليل او الدال الرئيسي على وجود الله سبحانه ، فاذا زال العقل او ز ال الاعتماد عليه انسد باب الاستدلال بالخالق فيصبح الفرد في لحظة من حيث يعلم او لا يعلم ملحدا.

وفي الرواية: ان الله تعالى خلق العقل وخاطبه: بك أُعبد وبك اثيب وبك اعاقب ، فاذا رفضناه كنا من الخاسرين بطبيعة الحال ، وكذلك في الرواية ان العقل نبي من الباطن والانبياء انبياء من الخارج ، يعني ماذا؟، يعني كل واحد الله تعالى دازله نبي في باطنه عليه اتباعه ، فاذا وخرونا وفرغونا من عقولنا معناه قتلوا النبي الذي الله تعالى دازلنياه وعلينا ان نطيعهم صرفا على شهواتهم وانحرافاتهم.

خامسا : انهم يؤمنون بالحلول وان روح علي حلت بفلان ، وروح سلمان حلت بفلان وروح ابو ذر حلت بفلان وروح

الزهراء حلت بفلانة وهكذا يقسمون الوظائف فيما بينهم وهذا من المضحكات المبكيات والذي ترفضه الشريعة بصراحة ، ويوجد هناك اخبار عن قضية الشلمغاني والحلاج وغير ذلك ، الائمة شنوا حربا شعواء ضد هذه المقولات وأمثال هذه المقولات ، واوضح اشكال يتوه عليهم هو انهم يعدون انفسهم ويظنون انهم أعلى من النبي والمعصومين ، إذن فهم اعلى من علي وسلمان وابو ذر وكل البشر فما معنى لتلبسهم الا لمجرد الدعاية لأنفسهم وجذب قلوب البسطاء اليهم وانا لله وانا اليه راجعون .

من كتب السيد الصدر الثاني (قد)

■ موسوعة الإمام المهدي عج

وهي من أروع ما خطّه يراع السيد الشهيد قدس سره وأكثر كتبه قراءة ودراسة وتداولا ً وتناولا ً وتأثيراً حسب رأيي رغم كتابته لها في بواكير حياته الشريفة وقبل وصوله إلى درجة الاجتهاد والمرجعية .. أثنى عليها السيد الشهيد محمد باقر الصدر في تقديمه لهذه الموسوعة ومما جاء فيها : (وسأقتصر على هذا الموجز من الافكار تاركا التوسع فيها وما يرتبط فيها من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا فأنا بين يدي موسوعة جليلة في الأمام المهدي عليه السلام وضعها أحد اولادنا وتلامذتنا الاعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمد الصدر حفظه الله تعالى وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي حول الإمام المهدي عليه السلام في احاطتها وشمولها

لقضية الامام المهدي المنتظر من كل جوانبها، و فيها من سعة الافق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من الكلمات و اللفتات مما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة واني اشعر بـ السعادة بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ وتعبر عنه من فضل ونباهة والمعية واسأل الله المولى- سبحانه وتعالى- ان يقر عيني به ويريني فيه علما من اعلام الدين) .

تناول هذا الكتاب القضية المهدوية من خلال أجزائه الاربعة والتي توزعت على فتراتها الأساسية الاربع :

- الغيبة الصغرى
- الغيبة الكبرى
- تاريخ ما بعد الظهور
- اليوم الموعود

وتميّز الكاتب والكتاب بعدة ميزات جعلته المصنف رقم -1- في موضوعه فيما لو تم تقييمه بشكل موضوعي ، ومن هذه الميزات :

* استيعابه الكامل للقضية ابتداء من الغيبة وحتى نهاية الحياة على هذه الأرض بقيادتها وتخطيطها ..

* اتباع طرق وقواعد علمية رصينة وواضحة في تحقيق اخبار القضية أولا ً وتحليلها والوصول إلى مداليلها

ونتائجها ثانيا ..

* إتباعه نظام الأطروحة وتألقه بها والذي يسمح بطرح عدة آراء علمية محتملة أمام القارىء والدارس مع طرح نقاط القوة والضعف لكل رأي واحتمال وبنفس طويل وبكل حيادية ومن ثم ترجيح أحدى الأطروحات من قبل الكاتب وفقا لمرجحات معينة ..

* عصرنته ، حيث ناقش الكثير من الآراء الفلسفية والعلمية وكذلك التطور العلمي والتكنولوجي المعاصر من وجهة نظر القضية المهدوية ..

عاش الشباب المؤمن في ظل هذه الموسوعة ساعات لا احسبها إلا من ساعات الحضور بين يدي المعصوم ، تأثروا بها أيما تأثير ولا زال قراء الموسوعة يمتلكون طاقات واشعاعات تمدهم بأحلى وأطيب النفحات الإيمانية ..

قراءة الموسوعة المهدوية وخاصة كتاب الغيبة الكبرى منها أتمناه لكل إنسان من باب حب لأخيك ما تحب لنفسك ..

ويُحسن لي أن اذكر ما شخصته عند بعض من يدّعي تقليد واتّباع السيد الصدر الثاني ، حيث لم يقرأوا آثاره ولم يطلعوا على فكره وابداعه ومعلوماتهم عنه مقصورة ببعض المقاطع الصوتية المشهورة او ببعض مواقفه .. أقول : كل من لم يقرأ آثار كتب الصدر الثاني ولأكثر من مرة فإن

اتّباعه له محض ادّعاء ..

■ موسوعة ما وراء الفقه

كتاب يعتبر فتح في بابه ، فمن النادر أن يتناول فقيه مواضيعا وأحكاما فقهية من جوانبها العلمية (طب - فيزياء - كيمياء - رياضيات .. اله) والفلسفية والاجتماعية .. الخ

وهو كتاب ممتع وأقرب إلى الموسوعة العلمية واستطاع مؤلفه من خلاله إغناء مباحث المواضيع الفقهية بأدلة غير تقليدية يرتجى في المستقبل أن تكون بعضها أصيلة في الا ستنباط الفقهي ..

كتبه في الثمانينات من القرن الماضي ، وقال عنه في إحدى كلماته أنه قد كتبه في تقية مكثفة اشارة الى النقص المتعمد في طرح بعض أبحاثه ..

يقال إنه فاز في المرتبة الأولى في أحد معارض الكتب في الجمهورية الاسلامية في التسعينات .. يقع على عدة مجلدات تزيد وتنقص على العشرة وحسب الطبعة حيث تم إعادة طبعه أكثر من مرة ..

اعتبره شخصيا عملا متمردا على الكتابات التقليدية للحوزة النجفية على مستوى الفقهاء والمراجع .. لا تفوتكم قراءة بعض أبحاثه ..

■ فقه الأخلاق

فقلت : اعتقد أن كتاب فقه الأخلاق تقدم خطوة على جميع الكتب في هذا الباب ، ففي الوقت الذي ركزت فيه كتب الأ خلاق على تحديد الداء والدواء للأمراض النفسية والأخلا قية والروحية .. كالرياء وعلاجه والعُجب وعلاجه وقسوة القلب والحسد ... الخ فإن مؤلف فقه الأخلاق حرص على تخريج أطباء أخلاقيين - إذا جاز التعبير - يستطيعون بأنفسهم تشخيص الداء ووصف الدواء لهم ولغيرهم .

بالإضافة الى ذلك ، فإن المنهج الأخلاقي الذي أراده المؤلف تأصيله في هذا الكتاب هو الخروج من الحالة السلبية والا نهزامية في التعامل مع الأشياء والبيئات الملوثة بفايروسات تلك الأمراض وأن احتمال العدوى فيها كبيراً الى حالة إيجابية ، بحيث تتعاطى معها ولكن بحصانة ووقاية كاملة من التأثر والإصابة ..

يوسّع كتاب فقه الأخلاق من دائرة العبادات والرياضات الروحية ، فيعطي للصلاة مفهوماً أوسع من مصداق هذه الفريضة العبادية التي نعرفها ، وكذلك الصوم ، يجعلك صائماً من غير أن تمتنع عن الأكل والشرب ، يجعل لك الكون كله مسجداً تستطيع الاعتكاف به ، يسهل عليك حجك وعمرتك وزيارتك ..

ابتعد هذا الكتاب عن مصطلحات الفلسفة والعرفان وتعابير الصوفية وغيرها المتداولة في كتب هذا الباب واستعمل

اللغة المتداولة في الكتب الدينية والمصطلحات المعروفة مع إيصال معاني ومفاهيم أعمق وأوسع ..

هذا هو كتاب فقه الأخلاق وزيادة ، وهو فعلا ً جواهر تحت التراب كما وصفه مؤلفه ..

والكتاب فريد في بابه من جهتين :

الأولى : تناوله للابواب الفقهية العبادية بنفس ترتيبها تقريبا في الرسائل العملية المتداولة ..

الثانية : تناول الجهة المعنوية والاخلاقية للعبادات بشكل مغاير ، فاستطاع أن يؤصل قواعد أخلاقية وعرفانية يستطيع القارىء اللبيب يطبقها في كل شيء عبادي وغير عبادي ..

يقع على جزئين .. برأيي أن الجزء الثاني يفوق الأول بدرجات .. أنصح بقرائته أكثر من مرة ..

■ وفيما يلي قائمة مختصرة لأغلب وأهم ما خطه يراعه الشريف :

1. ما وراء الفقه ، في خمسة عشر مجلّداً ، تحتوي هذه الموسوعة على أسئلة تخص الثقافة الفقهية المعمقة .

2. منّة المنان في الدفاع عن القرآن ، في خمسة مجلّدات ، صدر منه (الجزء الأوّل) بقلم السيّد الشهيد ، وصدر (4 أجزاء) تقريراً لدروسه القرآنيّة ، على يد مؤسّسة المنتظر لإحياء تراث آل الصدر .

3. موسوعة الإمام المهدي (عجّل اللّه فرجه) ، وتحتوي على : تاريخ الغيبة الصغرى ، وتاريخ الغيبة الكبرى ، وتاريخ ما بعد الظهور ، واليوم الموعود بين الفكر المادّي والديني ، وعمر الإمام المهدي (عجّل اللّه فرجه) .

4. الأنظار التفسيرية بين يدي القرآن الكريم ، وهو فهرست موضوعي للقرآن الكريم .

5. منهج الصالحين ، وهو رسالة عمليّة موسّعة في خمسة مجلّدات .

6. مسائل وردود .

7. فقه الموضوعات الحديثة ، وهو رسالة عمليّة في المسائل المستحدثة .

8. الصراط القويم ، وهو رسالة عمليّة مختصرة .

9. الرسائل الاستفتائيّة .

10. كتاب البيع ، وهو تقريرٌ لأبحاث السيد الخميني ، ويقع في أحد عشر مجلّداً تقريباً . صدر منه ستة أجزاء .

11. كتاب الطهارة ، تقريراً لأبحاث السيد الشهيد الصدر الأوّل ، ويقع في ثمانية مجلّدات تقريباً ، صدر منه مجلد واحد .

12. مبحث ولاية الفقيه .

13. الوافية في حكم صلاة الخوف في الإسلام

14. اللمعة في حكم صلاة الجمعة ، وهو تقريرٌ لأ بحاث السيد إسماعيل الصدر .

15. بحوث في صلاة الجمعة .

16. بيان الفقه ، وهو بحثٌ فقهي استدلالي يتناول مبحث القبلة ولباس المصلّي .

17. حكم القضاء في مدارك فقه الفضاء .

18. مدارك الآراء في اعتبار حال الوجوب أو حال الأداء .

19. منهج الأ ُصول ، في خمسة مجلّدات .

20 . محاضرات في علم أصول الفقه (دورتان) , تقريراً لأ بحاث السيّد الشهيد الصدر الأول .

21. فقه الأخلاق ، في مجلّدين ، وهي دورة فقهية يبحث فيها عن الأحكام من جهتها الأخلاقية .

22. حبّ الذات وتأثيره في السلوك الإنساني .

23. أضواء على ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) .

24. شذرات من تاريخ فلسفة الإمام الحسين (عليه السلام) .

25. فلسفة الحجّ ومصالحه في الإسلام .

26. الخمس بين السائل و المجيب .

27. الزكاة بين السائل و المجيب .

28. الصوم بين السائل و المجيب .

29. الطهارة بين السائل و المجيب .

30. فقه الطب .

31. فقه العشائر .

32. فقه الفضاء ، وهو رسالة عمليّة في مسائل وأحكام الفضاء المستحدثة .

33. فقه المجتمع .

34. مختصر أحكام الصلاة .

35. مسائل في الحجاب .

36. مسائل في حرمة الغناء .

37. مناسك الحج .

38. موارد جواز النظر و عدمه .

39. حديث حول الكذب .

40. نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان .

41. الأسرة في الإسلام .

42. الرد على الشبهات من السنة والآيات .

43. بحث حول الرجعة .

44. رفع الشبهات عن الأنبياء .

45. الإفحام لمدعي الإختلاف في الأحكام .

46. أشعّة من عقائد الإسلام .

47. القانون الإسلامي وجوده ، صعوباته ، منهجه .

48. كلمة في البداء .

49. تقريرات في علم أُصول الفقه (دورة كاملة) ، تقريراً لأ بحاث السيد الخوئ ي ، وتقع في ثلاثة عشر مجلّداً تقريباً .

50. بحوث استدلاليّة في كتاب الطهارة ، تقريراً لأبحاث السيّد الخوئي .

51. دروس في شرح كفاية الأ ُصول ، من أبحاث السيّد الشهيد الصدر الأوّل .

52. الكتاب الحبيب إلى مختصر مغني اللبيب .

53. تعليقة على رسالة السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر الفتاوى الواضحة .

54. تعليقة على الرسالة العمليّة منهاج الصالحين للسيّد الخوئي .

55. تعليقة على الرسالة العمليّة مناسك الحجّ للسيّد الخوئي .

56. تعليقة على كتاب المهدي للسيّد صدر الدين الصدر .

57. حياة السيّد صدر الدين الصدر .

58. الكلمة الحيّة في حكم حلق اللحية .

59. تعليقة على الرسالة العمليّة وسيلة النجاة للسيّد أبي الحسن الأصفهاني .

60. المعجزة في المفهوم الإسلامي .

وغيرها ..

قلب الظالم بأيدينا

عُرف عن السيد في فترة تصدّيه للمرجعية بقوّة القلب ، ومن يستذكر أو يقرأ عن مسيرة مرجعيته والخطوات التي سار بها والخطب واللقاءات التي تحدث بها ويضاف اليها خطابات وكلمات عشرات الجمُع والمحاضرات التي دارها وكلائه ومعتمدوه وطلبته في شتى أماكن العراق .. مع ملاحظة القبضة القاسية للسلطة وقتها عن طريق أجهزتها المرعبة كالأمن والفدائيين والبعثيين وباقي الاجهزة البشعة .. يعرف عندها مقدار الصلابة التي كان يتمتع بها قدس سره الشريف والتي استطاع أن يزرعها في قلوب طلبته ومقلديه ..

ففي جلسة خاصة جمعتنا وبعض الأخوة مع السيد محمد الصافي (الخطيب المعروف) دامت توفيقاته قبل سنوات في السماوة ، قال لنا :

في أيام السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره تأزمت الأمور مع النظام بسبب صلاة الجمعة ، ومُنعت بعض الصلوات ، وأصبح نوع من التحدي مع جلاوزة البعث والأمن ، فاستدعى على إثرها السيد الشهيد أئمة الجمعة في عموم العراق إلى إجتماع طارىء ، فحضرنا وكان القلق يخيّم على الجلسة وبلغت القلوب الحناجر ، ولقد لاحظ هذا منّا السيد الشهيد فبدأ الاجتماع بهذه القصة :

كان في عهد الإمام الكاظم عليه السلام أحد الموالين لأهل البيت عليهم السلام يعمل في صناعة الخواتيم وصياغة الأحجار الكريمة وما شاكل ذلك ، دعاه هارون العباسي إليه وأعطاه حجراً ثميناً وأمره أن يصنع منه خاتماً لإحدى زوجاته .. فذهب هذا الصائغ وبدأ يعمل بالحجر إلّا أنه سقط منه وأنقسم الى قسمين ..!! فخاف هذا الموالي على نفسه من هارون العباسي وغمّ غمّاً شديدا ..

لجأ إلى الإمام الكاظم عليه السلام وشكى إليه الحال وأنه خائف من العواقب خاصةً وأن هارون قد أوصاه على الحجر كثيرا .. قال له الإمام عليه السلام أذهب الى عملك وسنتدبر الأمر .. رجع الى عمله ولازال قلقاً لأن الإمام لم يفصّل له ماذا سيفعل له ..!

استدعى هارون العباسي هذا الصائغ مرةً أخرى ، فزاد خوفه وذهب وهو حائر ماذا سيقول إليه ..!! وما أن مَثُل أمام هارون حتى بادره بالسؤال : هل انتهيت من عمل الخاتم ..؟ فقال له لا .. بعد ، فقال له هارون : أقسم الحجر

الى قسمين واصنع لي خاتمين لأهديهن إلى إثنين من زوجاتي .. أستغرب الصائغ من هذا الطلب وفرح جداً وهرع الى الإمام وبشّره بأن أزمته قد انتهت ولكنه أراد ان يعلم من الإمام ماذا فعل له حتى فرّج عن ضيقه ، فرد عليه الإ مام : [قلوب الظالمين بأيدينا نقلبها حيث نشاء ..!]

يقول السيد الصافي ؛ سكت السيد الشهيد برهة ثم قال لنا بنبرة قوية : ولا زالت بأيدينا .. !

يقول السيد الصافي ؛ ما أن سمعنا القصة وكلام السيد حتى فرجت كل همومنا وذهب عن قلقنا وحلت السكينة على قلوبنا ..

ولعل لبس السيد الصدر للكفن في خطب الجمعة هو أعلى وأوضح تعبير عن الشجاعة التي يمتلكها والمصير الذي ينتظره قدس سره .

وعندما نثبت هذه الصفة – قوة القلب – للسيد الشهيد فإننا لا نريد أن نرسم عنه صورة من قساوة وغلاظة الشخصية لا سامح الله ، ولعل خير من يوزن لنا ذلك هو أبرز طلابه المرجع الشيخ اليعقوبي دام ظله من كلام له بعنوان (معايير التقليد في المدرسة الصدرية) حيث يقول : (لقد كان (قدس سره) يؤكد على أتباعه للبحث عن صفتين في المرجع القائد ويدعو إلى تحقيقهما بدرجة من الدرجات ويعتبرهما خلاصة وصايا الأنبياء والأ ئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) والعلماء الصالحين وهما : طيبة القلب وقوة القلب ، وإنهما لتستحقان هذا الاهتمام و التركيز لأنهما مبعث حصول خصال الخير والكمال ومنهما

تترشح .

فطيبة القلب تبعث على الرحمة وحب الآخرين والتسامي عن الحقد والغل والأنانية والحرص وغيرها وتدعوا إلى بذل الوسع في قضاء حوائج الناس وإدخال السرور عليهم، ووصاياه (قدس سره) في تحصيل هذه الصفة كثيرة من خ لال خطاب الجمعة ولقاءاته الأخرى ...

وقوة القلب مبعث الشجاعة والإقدام والحزم وقوة الإرادة والغضب لله تبارك وتعالى ورفض الظلم والباطل والانحراف ونحوها من الصفات ، وكان (قدس سره) يصرح بان لدي من قوة القلب ما يكفي لاتخاذ القرارات التي يعجز الآخرون عن اتخاذها ولكشف الحقائق التي يداهن الآخرون في إخفائها . وفي إحدى خطبه المباركة في مسجد الكوفة قال ما مضمونه أن الاستقامة على جادة الشريعة صعبة للغاية لكنها في نفس الوقت سهلة للغاية لأن حقيقتها قوة الإرادة والعزم الصادق .

وهاتان الملكتان (طيبة القلب وقوة القلب) هما قوام القلب السليم الذي ينجو من أتى الله به يوم القيامة [إلا مَنْ أتى اللَّهَ بِقلْبٍ سَلِيمٍ] (الشعراء : 89) .

قصة استشهاد السيد الشهيد محمد الصدر الثاني (قده)

كما جاءت على لسان المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله)

اعتادت الحوزة والمتشرعة الذهاب الى كربلاء ليلة الجمعة لزيارة مرقد الإمام ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) لما فيها من الفضل العظيم وكنّا ممن وفقهم الله تبارك وتعالى لهذا الالتزام الشريف فذهبنا كعادتنا عصر الخميس (2 ذ.ق 1419) المصادف (1999/2/18).

وعلى مشارف مدينة النجف وجدنا طوقاً من المدفعية الثقيلة قد احاط بالمدينة المقدسة متخفياً وراء السواتر الترابية وقد وجهت فوهات المدافع نحو المدينة وطلائع من الآليات والجنود التي تنبئ على وجود قطعات عسكرية في عمق الصحراء فرابنا الموقف وسألنا عن ذلك فقيل: انها ربما كانت احتياطات عسكرية لان العراق كان يومئذ في ازمة مع الولايات المتحدة وبريطانيا فيخشون من حصول غارات على المدن العراقية، لكننا رددنا عليهم: لو كان الأمر كذلك لكانت فوهات المدافع متجهة الى حيث تأتي الطائرات المغيرة دفاعاً عن المدينة وليست موجهة الى نفس المدينة فانقطع الجواب وعدنا ليلا ً الى النجف.

وفي صبيحة اليوم التالي الجمعة (3 ذ.ق) ذهبنا الى مكتب السيد الشهيد (قدس سره) الذي كان مقابل الصحن الشريف من جهة باب القبلة وكنت اجلس يومياً في غرفة خاصة مقابل الغرفة التي اتخذها السيد نفسه للاجابة عن اسئلة الناس وقضاء حوائجهم بعد ان اتسعت مرجعيته (قدس سره) في الاشهر الأخيرة وازداد زحام الناس فلم يبق له

وقت لهذه المسؤولية فحولها عليّ وبقي هو (قدس سره) لا دارة الأمور العامة.

وقد شهدنا مدينة النجف على غير العادة فالقوات العسكرية منتشرة في كل مكان والأجواء مكهربة وتساءلنا مرة أخرى عن سر ذلك فقيل ان اليوم (2/19) وهو اليوم الذي تحتفل به المدينة رسمياً كيوم للمحافظة، لكننا قلنا ان هذه المناسبة ليست جديدة ولم يكن يحتفل بها بهذه المظاهر من قبل.

وفي كل يوم كنا نبقى في مجلسنا العام في المكتب حتى يرتفع آذان الظهر فندخل مع السيد الشهيد (قدس سره) الى الحرم الشريف لنؤدي صلاة الظهر جماعة الا يوم الجمعة فنغادر المكان قبل الظهر بأكثر من ساعة للذهاب الى مسجد الكوفة المعظم لاداء صلاة الجمعة المباركة المقدسة بإمامة السيد الشهيد (قدس سره) حيث كان يحجز مكان خلف الإ مام مباشرة لاعضاء المكتب فان اغلب الصفوف المتقدمة تشغل من وقت مبكر منذ الفجر.

وذهبنا الى المسجد المعظم وكالعادة كانت النجف تموج بـ المؤمنين الذين يقدمون من كل مدن العراق فيحجزون اماكنهم في صلاة الجمعة بفراش ونحوه ثم يأتون لزيارة امير المؤمنين ومرجعهم الشهيد ثم يعودون الى الصلاة المباركة وكذلك السيد نفسه (قدس سره) يذهب الى المسجد قبل الآذان ويبقى في محراب أمير المؤمنين (عليه

السلام) يتعبد ويتأمل ويتهيأ حتى ينتهي المؤذن من آذانه فيأتي الى محراب صلاة الجمعة حيث يخلع عبائته ويرتدي البردة البيضاء التي تشبه احدى قطع الكفن ويتقدم الى المنصة المواجهة لجمهور المصلين ليلقي خطبتي الصلاة.

وكنت هذه المرة في الصف الأول الى يمين الامام فيمر طريقه بين محراب أمير المؤمنين (عليه السلام) ومحراب صلاة الجمعة عليّ فسلّم سلامه العام اثناء مروره واحاطني بسلام خاص بعينيه شعرت منه بمعنى خاص لم افهمه.

لكني فهمت معناه بعد ساعات فقد كان سلام تحميل للمسؤولية الثقيلة وسلام وداع رغم ان فرص اللقاء به يُفترض ان تكون ما زالت موجودة قبل ساعة استشهاده فقد كان يجلس مجلساً ليلياً عاماً يوم الجمعة بعد صلاة المغرب والعشاء وكنت احضر في المكتب لاداء وظيفتي التي ذكرتها قبل قليل الا انني لم اذهب في تلك الليلة لمانع، فقد جرحت يدي اثناء ادائي لبعض الاعمال البيتية قبيل المغرب ولم ينقطع الدم حتى اجدد الوضوء حتى صار الآذان فلم اذهب لصلاة الجماعة في مسجد الكرامة الذي كنت اقيم الجماعة فيه منذ عام (1416) ومن ثم لم اذهب الى المكتب في تلك الليلة فشاء الله لذلك الجرح البسيط ان يمنع من حصول امرٍ الله يعلمه.

وبعد المغرب بساعتين وعند عودته (قدس سره) الى داره حصل الاعتداء الاثيم عليه قريباً من داره في مكان لا يبعد

كثيراً عن بناية مدرسة البغدادي التي هي مقر دراسة طلبة جامعة الصدر الدينية فوصل اليهم الخبر مباشرة حيث سمعوا اطلاق الرصاص فاسرع اليّ اثنان هما الشيخ نديم الساعدي معاون العميد لشؤون الطلبة والشيخ علي خليفة من طلبة المرحلة الثانية يومئذ وقالوا ان الناس تتحدث عن عملية اغتيال للسيد (قدس سره) والاخبار متضاربة عن حـ الته فاسرعت الى الهاتف لاتصل ببيت اولاد السيد (قدس سره) السيد مصطفى والسيد مؤمل (رحمهما اللّٰه تعالى) فلم اجد من يرد على الهاتف لان اولاد السيد (قدس سره) وعوائلهم يجتمعون في بيته (قدس سره) حتى الليل يوم الجمعة فذهبت فوراً الى بيت الشيخ حيدر اليعقوبي لا ستطلع منه فوجدت الاخبار المتضاربة لكني علمت منه ان السيد (قدس سره) الآن هو في المستشفى الرئيسي في البلد فذهبت فوراً الى هناك وكانت مطوقة برجال الأمن و الباب موصدة بوجه المئات من طلبة العلم والمؤمنين الذين هرعوا الى المستشفى لاستطلاع الخبر واقتربت من الضابط المشرف على الباب وعرفته نفسي وطلبت الدخول فاستمهلني حتى يراجع المقدم فلان الذي كان مشرفاً على القوة الموجودة في المستشفى فاذن لي شرط تخلّي الناس عن الزحام على الباب وتفرقهم عنها فالتمست منهم ذلك فاستجابوا لي على ان اعود لهم بالخبر الصحيح وكانوا يتوسلون الى اللّٰه تعالى بالادعية المأثورة للاطمئنان على سـ لامة السيد (قدس سره) ودخلت الى جناح الطوارئ وكان هناك السيد مقتدى والسيد سلطان كلانتر صهر السيد (قدس سره) وآخرين من اعضاء المكتب وحاولت الدخول الى غرفة العمليات للتأكد من حالة السيد (قدس سره) فمنعوني لكن الوضع كان يشير الى انتهاء كل شيء فان

السيد (قدس سره) وولده السيد مؤمل قضيا نحبهما فوراً اما السيد مصطفى فقد بقي يعاني النزعات الأخيرة ورأيت على يديه بعدئذ اثر (الكانيولا) التي تشد في عضد المريض ليزرق فيها العلاج فانسحب السيد مقتدى وعدد من الاخوة الموجودين الى الدار ليكون قريباً من والدته المفجوعة وبقينا نحن في المستشفى حتى استدعينا الى غرفة الطبيب لاملاء المعلومات عن الشهداء التي تأخذ عادة حين تنظيم شهادة الوفاة كل هذا ونحن لا نريد ان نصدق بالوفاة ونمني انفسنا بالسلامة وان الله قادر على كل شيء.

ولم اكن استطيع ان اخرج الى الناس الذين ينتظروني في الخارج لاني لا ادري ماذا اقول واما السيد مقتدى فخرج صامتاً غير ان الشيخ علي البهادلي (المشرف على شؤون العشائر) اشار لهم بما يفهم منه وقوع الحادث الاثيم، وبقينا اكثر من ثلاث ساعات على هذا الحال: نحن واجمون صامتون في المستشفى وممنوعون عن الوصول الى الا جساد المضرجة بالدماء والمخلصون خارج الباب ترتفع اصواتهم بدعاء الفرج وتردد آية (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) وقد اغلقت الشوارع العامة ومنع التجوال وكنّا لا نرى ولا نسمع في الشارع الا اصوات صفير السيارات العسكرية من جيش وشرطة وقوات الامن والامن الخاص التي كانت تترى طول الوقت على النجف من اتجاه بغداد.

وأُجِّل اعلان الخبر رسمياً احتياطاً حتى تتكامل قواتهم وفي الساعة الحادية عشر ليلا ً استدعي جماعة منا

(السيد حسين كلانتر والشيخ محمد النعماني) الى بناية المحافظة وحاول المسؤولون الايحاء بخبر الوفاة والطلب منهم السيطرة على المشاعر لكنهم لم يطمأنوا الى قدرتهم على اداء هذا الدور فاجلوا اعلامهم صريحاً بالخبر وطلبوا منهم احضار احد كبار رجال الحوزة الى هناك لكي يتحمل مسؤولية تسلم الاجساد الثلاثة فحاول البعض الاتصال بـ السيد محمد كلانتر والسيد حسين بحر العلوم (رحمهما الله) فرفضا فحاولوا مع السيد علي البغدادي الذي كان قد تصالح قبل ايام مع السيد (قدس سره) فلم يفتح لهم الباب وكلمهم من وراء الشبابيك فضلاً عن الاستجابة لطلبهم ففشلت المحاولات.

وصارت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل الشتوي الطويل واعيد استدعاء مجموعة منا مرة اخرى الى مبنى المحافظة حيث كان يتجمع كبار المسؤولين الرسميين متحسبين لاي طارئ وقد اخبروهم هذه المرة صريحاً بنبأ استشهاد الثلاثة واشترطوا علينا تفريق الناس قبل تسليم اجساد الشهداء فقررنا ان اخرج واقنع الناس بذلك ثم نعود لتسلم الشهداء.

والى الان لم اصدق كيف تمالكت نفسي -وانا ذو العواطف الجياشة- فلم تذرف عيني ولم يتلعثم صوتي وانا اخرج الى الناس في الساعة الواحدة والنصف من تلك الليلة من ليالي الشتاء القارس المهيئة للمطر بين لحظة واخرى واطلب منهم التفرق والعودة صباحاً ليعلموا حالة السيد (قدس سره) ونجليه ولم أصرح بالنبأ رغم اصرار البعض وركبت السيارة عائداً الى البيت ووفرّوا هم للناس سيارات

لنقلهم فقد كانت الشوارع مطوقة ولا احد يستطيع المرور فيها الا السيارات الرسمية بل ان سيارة النقل الكبيرة التي نقلت طلبة الحوزة اعتقلت قرب الصحن الشريف واقتديوا الى مديرية الامن ولم يطلق سراحهم الا بعد حصول القناعة بان الدولة هي التي امرت بنقلهم من المستشفى الى قرب الصحن الشريف ليعودوا الى مدارسهم الدينية، وهو ما حدثني به أحدهم وهو الشيخ علي حميد الذي كان يومئذٍ مديراً لمكتب السيد الشهيد (قدس سره) ويساعده الشيخ علي صادق.

وما ان ابتعدت عن المستشفى مسافة حتى اطلقت العنان للعواطف والآلام التي كانت حبيسة في صدري فاجهشت بـ البكاء الحار وبصوت مرتفع ولم اكن قد اخبرت من معي بـ السيارة بالخبر فشاركوني البكاء حتى وصلت الى البيت حيث مكثت اقل من ساعة وعدت بعدها الى المستشفى وكان هناك ايضاً مجموعة من الطلبة فحملنا الاجساد الطاهرة في سيارة مكشوفة وركبنا في ثلاث سيارات شخصية وترافقنا حوالي اربعين سيارة ما بين صغيرة وكبيرة تحمل القوات المدججة بالسلاح وذهبنا في موكب صامت حزين الى المغتسل وقد أذن ولده السيد مقتدى بأن أتولى انا الصلاة على الاجساد الطاهرة والاشراف على باقي التكاليف الشرعية وبقي هو وعدد آخر في الدار، حيث باشر مجموعة من الطلبة على رأسهم السيد محمد الصافي مباشرة الغسل ولم يسمح لاحد من المنافقين من الدخول الى المغتسل فبقوا خارجه لكنهم قلقون من مرور الزمن اذ كانت الاوامر موجهة اليهم من قبل السلطات باتمام الدفن قبل حلول الفجر لكن الغسل تأخر بسبب نزف الدماء التي

لم تنقطع من جسد السيد (قدس سره) ورأسه وكانت الا صابة في جبهته قاضية وقاسية ويبدو انه اصيب بوابل من الرصاص وجِّه الى جبهته حيث خرج الرصاص من مؤخره تاركاً حفرة عميقة تدخل منها قبضة اليد وقد انتزعت معها اكثر اجزاء رأسه حيث كان رأسه الشريف ككيس من الهواء تستطيع ان تضغطه كيف تشاء وليس جمجمة عظمية ورصاصات اخرى على بدنه الشريف وكان جسد السيد مؤمل (رحمه الله) غارقاً بالدماء ايضاً ويبدو وقد جفّ جسمه من الدماء ولم يمكن تكفينهم والحالة هذه فلفّت اجسادهم بقطع نايلون كبيرة وكفنوا عليها بعد ان ملأت جروحهم بالقطن لكنها لم تنفع في قطع الدم.

ويشهد الله بدون مجاملة ولا عاطفة ان وجه السيد (قدس سره) كان يشرق نوراً وكأنه حي، وقد استمرت عملية التغسيل حتى حان موعد صلاة الصبح فصلينا في المغتسل في حين كان اولئك المنافقون على اشد من الجمر ويلحون علينا بين وقت وآخر بضرورة التعجيل حيث علمت بعدئذ من بعضهم ان قصي صدام كان على خط هاتفي مفتوح يتابع معهم التطورات وكان يأمرهم بالاستعجال وانهاء الأ مر تحت جنح الظلام وبعد انتهاء الغسل حملنا الاجساد الثلا ثة الى الصحن الشريف ووضعت في الرواق في نفس المكان الذي كان يقيم فيه السيد (قدس سره) صلاة الجماعة ولم نطف بها حول الضريح المطهر تنفيذاً لرغبته (قدس سره) التي سمعتها منه (قدس سره) فقد كان يستشكل (معنوياً) من هذا الفعل -أي اطافة الجنائز حول الضريح المقدس- ويقول كيف بي لو مِتُ ولا استطيع منع

من يطوف بجسدي على الضريح وتقدمت للصلاة عليه باذن ولي الفقيد وصلى خلفي بحدود خمسة عشر من اخواني الطلبة في حين كان بعض المنافقين ينظرون الينا وبقي الآ خرون منهم خارجاً.

وبعد اتمام الصلاة حملناهم الى المقبرة الجديدة في النجف حيث كان (قدس سره) قد اشترى ارضاً هناك لتكون مدفناً له ولذويه وبدأنا بدفن الجسد الطاهر للسيد (قدس سره) واهلنا عليه التراب ونحن لا نتصور كيف يمكن ان يضم قبر هذا الرجل الذي ارعب اعتى الطواغيت واشرسهم ولا زلت اتذكر -وكيف انسى- آخر نظرة القيتها عليه (قدس سره) وهو يفترش التراب في لحده مستقبل القبلة على جانبه الا يمن، وقد نزل في لحده المرحوم الشهيد الشيخ علي الكعبي إمام جمعة مدينة الثورة في بغداد الذي قدم الى النجف فور سماعه الخبر فنال شرف المشاركة وكـان معنـا المرحـوم الشهيد الشيخ حسين المالكي -الذي كان ملتفتاً الى بعض السنن الشرعية في مثل هذا الحال- والمرحوم الشهيد الشيخ محمد النعماني والسيد سلطان والسيد حسين ابنا السيد محمد كلانتر والشيخ عباس الربيعي و الشيخ علي البهادلي وآخرون لا استحضر اسماءهم.

وبدأت السماء تمطر مطراً منهمراً وكأنها تشاركنا المصاب وتذرف معنا الدموع وطلبت من السيد محمد الصافي ان ينشدنا -وهو صاحب الصوت الشجي- ابياتاً في رثاء الحسين (عليه السلام) ونحن نهيل التراب فانشد -ونعم ما انشد- عينية الجواهري:

شممت ثراك فهب النسيم

نسيم الكرامة مـن بلقـــع

والكل يبكي والبعض يأخذ من تراب القبر ويدخره لقضاء حوائجه بما فيهم بعض الضباط والجنود الذين كانوا شاهرين اسلحتهم على رؤوسنا وقبل ان نواري جسدي الشهيدين السيد مصطفى ومؤمل (رحمهما اللّٰه) انسحب محافظ النجف ليزف بشرى !! انتهاء عملية الدفن بسلا م !! الى سيده قصي ثم ووري الجميع الثرى وشمس يوم السبت ازفت على الشروق لتنهي اعظم ليلة عشتها وعدت الى منزلي وانا مثقل بالاحزان وارخيت لعيني حتى تفرغ ما تبقى من دموع.

- المصدر: الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه - الكتاب الأ ول

الشيخ محمد اليعقوبي
دام ظله

تمهيد

نحن الآن بين يدي مرجعية حركية استطاعت أن تشق لنفسها طريقاً اصلاحياً وحركياً في وسط ساحة مزدحمة ومتنافسة الى حد ما بالخطوط الحركية وغير الحركية بالأصل (وإن دخلت المعترك الحركي لسبب واخر) ، هذه المرجعية بصفاتها وخصائصها التي نحيل ذكرها الى موضع قادم من هذا البحث قد تدخلت في تكوينها جهات متعددة وبظروف متغيرة وبمراحل متعاقبة لا بد من توضيحها بصورة أدق وأوضح مع شيء من التفصيل في تلك الأمور كونها كفيلة بمعرفة أكثر لهذه المرجعية وفهم حركتها وتحليل طريقتها بالعمل المرجعي والحركي والرسالي ، وهو ما نريده من هذه الكلمات ، سنوضحها هنا ونتطرق اليها باختصار وهي :

الجهة الاولى : تعود الى شخصيته ، الفطرية والكسبية ، حيث يتميز دام ظله ببعض الخصائص والصفات والتي تدخل في صقلها إنحداره من عائلة دينية علمية عاش في كنفها أجواء ملؤها العلم والالتزام بالشريعة الإسلامية ، وخير تعبير يشير إلى تلك الشخصية المباركة هو ما قاله أحد اساتذته بحقه بأنه (يحمل اخلاق الانبياء) ، علاوة على ما يمتلكه من مواهب عقلية وذكاء وقّاد تشير اليه دراسته الاكاديمية والتي نال بها شهادة الهندسة المدنية

وبتفوق عال ، وهي من التخصصات العلمية التي تحتاج إلى مستوي ذهني كبير ، وكذلك دراسته الحوزوية المتفوقة والتي نال بها درجة الاجتهاد بسرعة فائقة نسبياً .

فهذه الجهة الأولى التي نسجلها اذن والتي نعتقد أن لها تدخل مباشر في صياغة مرجعيته ووضع الخطوط الأولى في رسم صورتها المباركة ومن ثم أصبحت لها الأساس الذي ترتب عليه البنيان اللاحق والذي سنشير اليه في الجهتين التاليتين ..

الجهة الثانية : تعود إلى اختياره للخط الصدري الشريف وتأثره بالمرجعين الصدرين الشهيدين الكبيرين واتّباعه لهما وتأثره بخصائص مرجعيتهما . كان لهذين المرجعين المقدسين انعكاسات قوية على شخصيته الحركية و المرجعية ، فوافقهما بالتالي في أكثر وأهمّ آراءهما المخالفة للحوزة التقليدية ، مثل ولاية الفقيه وضرورة قيادة المجتمع والنزول مع الجماهير ومشاركتها بآلامها وأحداثها ، علاوة على التجديد بالأساليب والاليات التي تعمل بها المرجعية سواء على مستوى الحوزة الشريفة او المجتمع ، فهو صدري بالحسَب والخصائص وان لم يكن كذلك بالنسب والدم .

اذن صاغ الخط الصدري أهم منابع التفكير في مرجعية الشيخ اليعقوبي وتدخل بقوة في تحضير الذائقة المرجعية له حتى اصبح الامتداد الطبيعي لهذا الخط بل استطاع

وبفضل تهيئة بعض الظروف ولإحتياج المرحلة الى برمجة كثير من آراء وتطلعات الصدرين المقدسين إلى واقع حال ومشاريع عاملة في الأمة ، فلأن يعود أصل التنظير في بعض المشاريع الى استاذيه الكريمين ، فيعود تهيئة ظروف وآليات تطبيقهما اليه دام ظله وبكفاءة وجدارة عاليه .

الجهة الثالثة : ممارسته للمرجعية وتصديه لقضايا الأمة بعد استشهاد الشهيد الصدر الثاني قدس سره الى ان اعلن اجتهاده ومرجعيته وتصديه لقضايا الأمة حتى يومنا هذا ، أطال الله عمره .

هذه الممارسة وهذا التصدي اضاف له تجربة رائدة في ظروف العراق المعاصر الذي تشتبك به الاحداث وتكثر به المنعطفات والعواصف السياسية والاجتماعية ، لهذه التجربة تغذية راجعة حسب المصطلح جعلته يستخدم بعض الأساليب والادوات واعادة صياغة اخرى وفق معطيات الاستخدام والتجربة ووفق ما يفرضه الواقع الخارجي .

هذا المكون الثالث المهم في تكوين مرجعيته وتحديد بعض ملامحها الموافقه والمغايرة للخط الصدري والتي تعود إلى قرائته واجتهاده الخاص للمصالح وللظروف وللمرحلة التي تعيشها الأمة . وبالتأكيد فإن هذه الاختلافات ان وجدت مع خط ومرجعية المرجعين الصدرين فإنها لا تعود الى أصل ما يتبناه ، وانما الاختلاف يقع بالطريقة والأسلوب الذي يختاره في الأداء والتطبيق ..

هذه ثلاث جهات أشرنا لها نعتقد أن لها المدخل الرئيسي في رسم ملامح مرجعية الشيخ اليعقوبي رأينا ذكرها كتمهيد للمواضيع اللاحقة ..

ناصر الصدر

بدأت قصّة مناصرة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) للسيد محمد الصدر (قدس سره) من ثمانينات القرن الماضي ، فبدأت من المراسلات الخطية بين المرجع الذي يعيش بتقية مكثفة مقدارها 1000% (بحسب وصفه قدس سره) وبين الشاب (محمد اليعقوبي) والذي يعيش (تخلفاً) عن الإلتحاق بالخدمة العسكرية والتي عقوبتها الإعدام في حينها ، وبنفس الوقت يعيش تقدماً روحياً وكمالياً على يد ذلك السيّد والمرجع والسالك القابع بين جدران صومعته ، وظيفةً وتكليفا .. هذه المكاتبات التي ظهرت فيما بعد وشكّلت خزيناً روحياً ومعرفياً للشباب بعد أن

جمعها سماحة الشيخ في بعض الكتب التي صدرت وعلى رأسها كتاب قناديل العارفين ..

ثمّ في التسعينيات تحوّلت هذه النصرة الى نوعٍ آخر ، حيث كان على رأس قائمة أهل الخبرة الذين شهدوا للمرجع الشهيد الراحل بالأعلمية ، وكان على رأس الطاقم الذي يدير حوزته ومكتبه الشريف ، ومن هنا كانت مرجعيته وفقاهته واعلميته بالإضافة الى أنها مستندة على أسس علمية وشرعية ، فإنّ له معايشة ومواكبة ميدانية لشؤون مرجعية رسالية كبيرة مثل مرجعية الشهيد الصدر الثاني رضوان الله تعالى عليه ..

ثم شاء الله ان ينصر السيد الشهيد جثةً مقدسة ميتة تحتجزها زبانية الزمرة الحاكمة ، فقدّر الله ان يلي أمره تغسيلاً وتكفيناً وصلاةً ودفناً ونعياً في الوقت الذي جبن عن تلك الاجساد الطاهرة من جبن ..!!

ثم اتخذت رحلة النصرة هذه شكلاً آخر ، اصبحت النصرة تحتاج الى من يمسك زمام الراية التي أراد الاخرون لها ان تقع ، وفعلاً صمدت تلك الراية ولله الحمد داخل اروقة الحوزة وفي اروقة وساحات المجتمع والقواعد الشعبية العريضة التي خلفها وراءه شهيدنا قدس سره ، وحافظ عليها في أوقات صعبة وحرص على مداومة الزخم الروحي الذي ولّده السيد الشهيد بالأمة واستطاع ان يحتضن تلك القواعد والطلبة التي يتّمها رحيل قائدها ومربيها ، ويخفف الصدمة الكبيرة والمفاجئة لأغتياله ، فالتحدي كان تحدي بقاء ووجود ، فكان خير كافل لها وخير مُعيل ..

وحتى بعد ان اعلن شيخنا المرجع عن اجتهاده وتصدّيه للمرجعية ، فإنه لم يترك نصرة استاذه ومربيه ، ولازال

يحرص على متابعة ما أسس له وبناه الشهيدان الصدران ، ولا زالت صورة الشهيد الصدر تزيّن مقرات ومؤسسات مرجعيته الشريفة تعبيراً عن ذلك الانتماء الخالد ..

لم تكن مناصراته يوماً عن عاطفة او تصرفات عفوية ، وانما كانت تنمّ عن وعي ومعرفة بالوظيفة المناسبة لمرحلتها ووقتها .. ولم يبخس السيد الشهيد حق من ناصره وآزره ، فلقد شهد له بالنصرة حين قال (لم ينصرني احد في محنتي سوى الشيخ محمد اليعقوبي) وشهد له بالافضلية من بين طلابه كما في لقاء الجامعة الشهير او كما يحب البعض ان يسميه بغدير الصدر حيث رشحه فيه لمسك الحوزة من بعده ..

نحن نعتقد بأن الأمتداد الطبيعي لفكر المرجعية الصدرية هو سماحة الشيخ اليعقوبي وعلى مستوى الفكر والسلوك ، وشاء اللّه أن يهيأ الظروف له وتجسيد الكثير من أفكار تلك القيادة الرشيدة الصالحة على أرض الواقع ، وترجمها عملياً من خلال مؤسساته ومشاريعه الرسالية ، وكذلك إحياءه لكثير من الشعائر والمناسبات التي تلامس حياة الأمة وروحها .. فهو بحق الأبن البارّ للسيد الشهيد وتلميذه المجتهد .

مفاتيح مهمة لفهم وتقليد مرجعية الشيخ اليعقوبي

(١)

لمن يريد ان يستوعب مرجعية سماحة الشيخ دام ظله ويتفاعل معها ، لا بد له من الإلمام ببعض الامور التي تتناسب سعة استيعابها طردا ً مع سعة الفهم والتفاعل مع مرجعيته الشريفة ، اعتقادا منا بأن إتباعه لا يستوفى بالاط لاع على رسالته الشريفة (سبل السلام) والعمل بها فقط كما هو الحال في اكثر واغلب المرجعيات ، ومن وأهم تلك ا لأمور :

الامر الاول : أن يكون لديه اطلاع على السيرة الذاتية لهذا المرجع (المكتوبة والمستمرة المعاشة) ليكون على دراية ب الاجواء الاسرية والبيئة التي نشأ منها وبها وما هي مؤهلا ته وسماته العقلية والروحية والاخلاقية ، وما هي توجهاته وقناعاته وتفاعلاته وانفعالاته في جميع المواقف التي مر بها ، لما لهذه الأمور الأثر الواضح والبليغ في فهم ومعرفة الشخصيات القائدة والرائدة في أممها ومجتمعاتها .

الأمر الثاني : ان يكون ذا اطلاع على سيرة ومسيرة الشهيدين الصدرين المقدسين الاول والثاني ، كونه دام ظله قد انجذب لهما وتأثر بتوجهاتهما وعاش اجواء مرجعيتهما واستوعبها خير استيعاب ، خاصة بالنسبة للشهيد الصدر الثاني حيث كان المقلّد والطالب والوريث الأول له بلا منازع ، وهو على رأس قائمة محبي الصدر الثاني بلسانه ونصّه وهو على رأس الشاهدين له بالأعلمية كما أوضحنا ذلك في اماكن أخرى من هذا الكتاب .

الأمر الثالث : أن يكون الساعي لفهم مرجعيته المباركة وتقليدها على اطلاع واسع للظروف التي مرت بها (ولا ز الت تمر) مرجعيته وما احتوتها من تقلبات اجتماعية وسياسية ودينية وفكرية وثقافية وحوزوية وعسكرية على المستوى المحلي والاقليمي والدولي ، كونها مرجعية رسالية تهتم بكل هذه الامور وتبتني مواقفها عليها ، ونظرة فاحصة لخطابات المرحلة تكفي لهذا الغرض ..

الأمر الرابع : للقرآن الكريم وسيرة المعصومين عليهم السلا م انعكاسات واضحة وكبيرة عليه في جميع حركاته وسكناته ، فلقد خالط القران لحمه ودمه كما هو يقول منذ نعومة أظفاره ، وأدرك ادوار الائمة عليهم السلام في قيادة ا لأمة وتأصلت به وأسس كثير من مفاصل حياته على ذلك .. وكتابه (دور الائمة في الحياة الاسلامية) يسهّل المهمة هذه خير تسهيل ..

فاطلع اخي المؤمن على هذه الأمور وستتغير نظرتك على هذه المرجعية .. اطلع اخي المقلّد عليها وستجد نفسك اكثر تفاعلاً معها ..

(٢)

سماحة المرجع اليعقوبي دام ظله يقول بمبنى ولاية الفقيه ويعمل به ، وهو مبنى فقهي قال به جملة من العلماء الأعلام

، ومن أشهر المعاصرين منهم هو السيد الخميني والسيد الصدر الثاني قدست اسرارهم وكذلك السيد الحائري و السيد الخامنئي أدام الله ظلهم الشريف .. وولاية الفقيه هو رأي يقضي اتساع في مهام الفقيه وولايته (طاعته) على المكلف نسبة الى حدود الطاعة الضيقة بالنسبة لغير القائلين بها .. وثمة اختلافات مهمة بين رأي سماحة الشيخ اليعقوبي دام ظله وباقي القائلين بولاية الفقيه سنركز عليها هنا وهي ما يجهلها كثير من مقلديه فضلا ً عن غيرهم ومنها :

أولا : المستند الشرعي الذي أسس عليه مبناه في ولاية الفقيه قد أعطاه دام ظله زخما ً عقليا ً وعقائديا ً ولم يقتصر على الدليل المتعارف وهو مقبولة عمر بن حنظلة كما هو الحال بالنسبة للصدر الثاني قد .. فلقد أسند سماحة الشيخ المرجع ولاية الفقيه الى نفس دليل إثبات الإمامة وإثبات ضرورتها ، وبهذا يكون قد رسخ هذا الاتجاه وجذ ّره في الاوساط العلمية والبحثية وأعطاه أرضية أكثر قوة واستقرارا .

ثانيا : أعطى سماحة الشيخ أبعادا ً جديدة لمهام المجتهد الولي غير تلك التي أُسندت الى الولي الفقيه من قبل القائلين بهذا المبنى وتقدم بها خطوات :

* فالخطوة الاولى هي شمول مهام مرجعية المجتهد الى المجالات الاجتماعية التي يحتاجها المسلمون كمجتمع وعدم الاقتصار على الحاجات الفقهية الفردية للمسلم ،

حتى غيّر مصطلح الوجوب الكفائي الى الوجوب الإ جتماعي .

* ثم تلتها خطوة هي ضرورة عدم الاقتصار على اطلاق الا حكام الفقهية وترك تشخيص مواضيع الاحكام على المكلف فقط وإنما على الفقيه ان يتدخل في تشخيص وتحديد بعض المواضيع التي يصعب على المكلفين تحديدها وتحديد احكامها .

* ثم تلاها (دام ظله) خطوة ثالثة وهي : على الفقيه أن يتدخل في خلق اجواء للمكلف مناسبة لتطبيق الاحكام وأداء الطاعة من قبل المجتمع .

هذه الخطوط العامة لمهام المجتهد حسب رأي سماحة الشيخ وهي كما ترى سابقة فريدة من نوعها بأن تكون هنالك تكاليفا ً وأحكاما ً فقهية تتضمنها الرسائل العملية موجهة للمراجع لا للمكلفين ..!!

ثالثا : للأمة في فكر الشيخ دور في قيادة نفسها وقسم وافر من مرجعية الفقيه ، فحسب مبناه الفقهي دام ظله فإنه يعطي أدوارا للأمة (غير معروفة سابقا) بما هي أمة عليها أداءها ، ويمكن تلخيصها بثلاثة أمور :

الأمر الأول : تقع على عاتق الطبقة الواعية من الأمة مسؤولية تحديد الولي الفقيه المناسب للأمة والمرحلة وضرورة مبايعته من قبلها وعند ذلك تعقد ولايته وتصبح لا زمة على بقية شرائح المجتمع وعليهم الطاعة والانقياد ..

الأمر الثاني : استبدل مصطلح الواجب الكفائي بمصطلح الواجب الاجتماعي – كما نوهنا قبل قليل - ، حيث يقع

على عاتق الأمة العمل في المؤسسات والبرامج والأذرع و الفعاليات المختلفة التابعة للولي الفقيه والتي تنبثق عن أوامره وإرشاداته وتوجيهاته وحسب احتياجات واستحقاقات الزمان والمكان ، وهذه المؤسسات والبرامج بطبيعة رساليتها تكون متنوعة ومستوعبة لأغلب حاجات ومفاصل المجتمع ويقع التكليف على الثلة القادرة على ادارتها وتحقيق اهدافها .

الامر الثالث : يقع على عاتق الأمة دور حماية الولي الفقيه ودرء الأخطار عنه والتي من شأنها القضاء على شخصه او مرجعيته ودوره القيادي في الامة ..

هذه اهم الاختلافات التي تميزت بها مرجعية الشيخ عن مرجعيات قائلة ايضا بولاية الفقيه للمجتهد ، وعلى المقلدين خاصة معرفة هذه الأمور وإدراك هذه المهام والا ختلافات الجوهرية المؤثرة على طبيعة وشكل الانقياد و التقليد ..

(3)

تحديات مرجعية الشيخ دام ظله : لا يخفى ثمة فارق معيّن بين مرجعية سماحة الشيخ دام ظله على مستوى النظرية وبين مرجعيته على مستوى التطبيق ، فكثير من الأ فكار لم تطبق بعد ، وكثير مما طبّق منها فإنه لم يُجسد بدرجته المتكاملة .. وهذا ليس عيبا ً ، كونه جزءا ً من كل ّ ، ونقصد بالكل ّ هنا الاسلام الذي الى الآن وبعد مرور (14) قرنا ً نرى أكثر وأهمّ تشريعاته لا على

مستوى النظرية ، والمسلم يكاد يكون مسلماً على مستوى الهوية ..!

فسبب هذا الفارق هو التحد ّيات التي واجهتها مرجعيته دام ظله ولا زالت تواجهها ، ويمكننا تلخيصها وإجمالها بنقاط ثلاث :

الأولى : تعقيد الحوزة نفسها ، فتعدد المرجعيات واختلاف ا لآراء وانعدام التنسيق والتوافق بينها أد ّى الى صعوبة اقتناعها بمشروع مرجعيته فضلا ً عن الانضواء تحت رايته ، وبالتالي فإن سماحة الشيخ لم تنثن له الوسادة بـ النسبة للمذهب الذي تعتبر الحوزة الراعي الأول لقيادته في عصر الغيبة الذي نعيشه ، وله في المرجعين الصدرين أسوة حسنة فيما يخص هذه الجزئية وهذا التحد ّي بالذات .

الثانية : التعقيد في داخل المجتمع ، فالمتدينون منه عليهم انعكاسات تعقيد الحوزة أعلاه ، وأما غير المتدينين .. فهم بين غير المهتم بأمور الدين والمسلمين أصلا ً ..! وبين المنجذب الى هذا التوج ّه أو ذاك من تلك التوجهات غير الدينية ، فلم يتبق الى نفر يسير آمنوا بمرجعيته وحاولوا التفاعل معها وهم بأفضل حالاتهم لم يستطيعوا أن يغيروا واقعا ً أو يحس ّنوا حالا .

الثالثة : التحدي الأخير هو في نفس ات ّباع مرجعيته ، فهم وبسبب التحد ّيات أعلاه التي هي خارج مسؤوليتهم أولا ً ، وثانيا ً بسبب التقصير من قبل بعضهم الناتج عن عدم فهم مرجعيتهم كما ينبغي او عدم الجد ّية في

التفاعل معها او ضعف الكفاءة في ذلك التفاعل أدى الى سلبيات في بعض مفاصل ومواطن المشروع ، وعلى رأسها استنساخ بعض التجارب البائسة التي لا تمت الى المشروع الرسالي بصلة وعدم تقديم النموذج الحي والكامل للنظرية من قبلهم في تفصيل لا نريد الخوض به هنا ..

هذه التحديات وغيرها أثّرت سلبا ً على مرجعية سماحة الشيخ دام ظله ، فعلى غير المقلدين أن يضعوها بنظر الاعتبار لكي يتمكنوا من انصاف هذه المرجعية المباركة ، وعلى المقلدين أن يعوا التحديات الناتجة عنهم وأن لا يكونوا جزءا ً من القضاء على هذه الرسالة الشريفة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

(4)

إنطباعات عامة وهامة على مرجعية سماحة الشيخ (دام ظله) :

لقد ذكرنا في النقطة السابقة تحديات مرجعيته ، ولا بد لنا بعد ذلك من النظر الى هذه المرجعية الرسالية من زاوية أخرى أكثر اشراقا ً وتفاؤلا ، وللتركيز والاختصار يحسن لنا ذكر عدد من الإنطباعات المهمة على هذه المرجعية

الرسالية والتي من شأنها رسم ملامح مفصلية لها وتعمل على تحديد ذاتها وطريقة عملها وأسلوبها العام الذي تتبعه ، وهذا بحد ذاته يعتبر شفرات مهمة لفتح طلاسم مبهمة لكل من المـ ُتابـِ َع والتابع ..

الإنطباع الأول : من أولى الامور التي ينظر لها في هذه المرجعية هي امتدادها الطبيعي للخط الرسالي الذي بدأه الشهيد الصدر الأول وأكمله الصدر الثاني قدس سرهما وهو بدوره الامتداد الطبيعي لخط أهل البيت عليهم السلام ودورهم في الأمة في مقابل الخط الاخر الذي يؤمن بنيابة الإمام بأمور دون أخرى هي أكثر أهمية وخطرا في حياة الأ مة بما هي أمة وأولى من حياة الفرد بما هو فرد .. ولقد أكدنا وركزنا على هذا الأمر أكثر من مرة في هذا الكتاب لأ هميته .

الإنطباع الثاني : المتتبع لخطوات وخطابات مرجعيته المباركة يلاحظ بوضوح ملامح وخطوات التخطيط و التأسيس الرصين لمستقبل سيكون فيه دورا ً مهما ً وبارزا ً للمرجعية الرسالية ، وكثيرا ً ما نوه دام ظله الى هذا الشيء بخطابات وعبارت صريحة بهذا المعنى ، كتمثيله بعصا موسى عليه السلام التي لم يلقها الا بعد أن القى السحرة ما عندهم فإذا هي تلقف ما يأفكون ، او الاشارة لوراثة المستضعفين وأن العاقبة لهم وإن تأخرت بعض الشيء ، أو إشارته لقصة أهل الكهف ولا بد من اللجوء الى كهف حصين يحفظ المؤمن فيه نفسه .. الخ .

الإنطباع الثالث : ما بين الحفاظ على الماضي وتأسيس للمستقبل فإن لسماحته دام ظله إنطباعا ً نورانيا ً لمسه كل من عمل تحت ظله ، فهو صاحب بصيرة في تشخيص ا لأخطاء وتحذير من وقوع بعض المخاطر وإعطاء كثير من العلاجات والاجراءات اللازم اتخاذها ، ولقد أثبت الواقع الخارجي صحتها ومطابقتها لنظرته النورانية وإستشرافه للمستقبل ، وكذلك قد ترجمت كثير من نصائحه وحلوله الى واقع من قبل الآخرين من غير ان تنسب له وتسند اليه ، ولو أردنا ذكرها لطال بنا المقام ولا يسمح لنا الاختصار ، ولكن من المهم الاشارة الى ما يرتبط به واقعنا الراهن منها ، ف فكرة التحالف الوطني الذي وحد صفوف ابناء المذهب سياسياً واعطاءهم حقهم في ادارة البلد وأنفسهم بعد سقوط الطاغية كانت من بنات افكار سماحة المرجع ، ولقد اثبتت حنكتها السياسية في ظل الظروف الراهنة ، وكذلك ك ان من أقوى الداعين والداعمين للانتخابات ، وبعد ذلك اقتتل عليها من كان يرفضها ويقاطعها .. ولقد دعا الى جيش رديف لإنقاذ البلد عند الأزمات وعند انهيار الدولة .. وها هو الحشد الشعبي أثبت جدارته في مواجهة تحديات يرتبط بها وجود البلد وكان خير رديف للجيش العراقي والأ جهزة الأمنية بعد سقوط الكثير من محافظات العراق على يد داعش ، ولقد نصح ايضاً بتشكيل مجالس اعيان وحكماء وكذلك مجالس استشارية متخصصة في دراسة قرارات الدولة ولكن لم يصغ لهذه الدعوات لحد الان .

الإنطباع الرابع : صفة احتواء الآخر التي يتمتع بها سماحته ، فهو دام ظله احتوائي بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى وهو صاحب شعار (الإسلام محتاج الى جميع ابناءه) ،

يقابل الإساءة بالإحسان وهو الذي قال اساتذته بحقه : يحمل اخلاق الانبياء .

الإنطباع الخامس : نظافة الوسائل من أساسيات عمله ، فلا ينطلق نحو الاهداف بطرق ملتوية ولا يلوي عنق الواقع للوصول الى عناوين الاحكام الثانوية من اجل التخلي عن احكامها الاولية لأغراض شخصية وفردية وحاشاه ..

هذه بعض الانطباعات العامة على مرجعيتنا القائدة ، فعلى ا لآخرين ان يتحسسوا يوسف العصر بها وليطمئن قلبهم بوجودها ، وعلى مقلديه أن يعوا أخلاق وأخلاقيات مرجعيتهم .

ولا زالت هنالك أقفال لم تفتح وإنطباعات لم تذكر سنحاول التطرق لها فيما يأتي ..

(5) إجتهاد سماحة الشيخ (دام ظله) ..

يكثر الجدل في فترات متقطعة حول إجتهاد سماحة الشيخ دام ظله ، وهو نفس الجدل الذي حصل مع استاذه الشهيد الصدر الثاني قدس سره ، وحسب التجربة لا أتوقع التخلص من هذه الظاهرة غير أن الحق ينبغي أن يقال وعلينا تقع نصرته ، ولرد هذه الشبهة نقول :

1. فليعلم الآخر بأن شهادة الإجتهاد هي كاشفة عن الإ جتهاد فقط ولا يتوقف عليها وجودا ً وعدما ، فعدم وجود شهادة لا يعني عدم وجود اجتهاد . فالسيد الصدر الثاني ليس عنده شهادة اجتهاد وإنما استدل على اجتهاده بقرينة مفادها أن عهد اليه استاذه باقر الصدر قدس سره مباحثة بعض الطلبة خارجا ، وحسب السياق الحوزوي أن اساتذة البحث الخارج هم من المجتهدين فعلم قول استاذه بإجتهاده .

2. لسماحة الشيخ قرائن اجتهاد كثيرة في ايام استاذه الصدر الثاني عمدتها ثلاثة أمور :

الأول : إقرار السيد الصدر لإفتاء الشيخ وفق رأيه الخاص في بعض المسائل وكان الجواب مخالفا لرأي السيد على الرغم من اسداء الإجابات الفقهية اليه في براني السيد قد ..

الثاني : تصريح السيد في لقاء الجامعة بأن المرشح الوحيد لقيادة الحوزة من بعده هو جناب الشيخ ، وهذا ناسخ لشهاداته لعلماء آخرين قالها قبل هذا اللقاء بقرينة لفظة (ا لآن) حيث قال : الان استطيع القول ان المرشح الوحيد ... الخ . وهل يعقل أن يستنيب السيد غير مجتهد من بعده وهو الذي يقول (الماعنده اجتهاد ما يسواله كحف) ..!

الثالث : كان الشيخ على رأس أهل الخبرة الشاهدين

بأعلمية السيد الصدر قد ، وكتب السيد في تقرير الشيخ لبحث المشتق بأنه يسير حثيثا (سريعا) نحو الاجتهاد .. فهل يعقل أنه الى الان غير مجتهد وبعد مرور اكثر من (15) عاما ..

3. لسماحة الشيخ دام ظله شهادات اجتهاد مرموقة على رأسها شهادة المرجعين الكرامي والصادقي ، وصدرت شهادتهما بعد النظر في بحوث فقهية استدلالية لسماحة الشيخ كانت صادرة في حينها ولم تكن اعتباطية .

4. لقد فتح سماحة الشيخ درس الفقه الخارج في اكثر المسائل جدلا بين الفقهاء وبحضور عشرات الفضلاء ، وطبعت بحوثه ونشرت بين اصحاب الفن والاختصاص من غير أن تطعن بمستواها واسلوبها ، وصدرت في أثناءها عشرات الشهادات في اجتهاده وبعضها بأعلميته ..

5. كل من عرف سماحة الشيخ وخبر دينه وتقواه وأخلاقه وورعه يقول بملىء فمه أنه أكبر وأسمى وأعظم من أن يدعي ما ليس فيه ، وله شهادات من اعلام وفضلاء بهذا المضمون ولم يجهدوا انفسهم بتدقيق بحوثه واكتفوا بالإ طمئنان الى صدقه والركون الى موثوقيته ، ولنا في رسول الله اسوة حسنة حيث كان جزءا مهما من محاججته للآ خرين أنه الصادق الأمين الذي لا يدعي لنفسه كذبا و لا زورا .

بعد كل هذه الادلة والقرائن يصبح من المعيب علميا واخلا

اقيا وشرعيا تصويب اليه مثل هكذا تهم وتشكيكات ..

تبقى ملاحظتان :

الاولى : النجف الاشرف بعد رحيل السيد الخوئي قدس سره اصبحت ضنينة بإعطاء شهادات الاجتهاد وكأنها عقمت نفسها بنفسها .

الثانية : نشير الى أن تعارض شهادات الاجتهاد لا يؤدي الى تساقطها ، نعم قد يكون تعارض شهادات الاعلمية مؤثرا في تحديد الاعلم .

(6) أعلمية الشيخ اليعقوبي دام ظله ودواعي تقليده :

بعد أن فرغنا من الإستدلال على اجتهاد سماحة الشيخ ، لا بد لنا من التطرق لدواعي تقليد سماحته وموجباتها ، ولعل أول موجبات تقليد المجتهد هي أعلميته ، فهل هي متوفرة عند سماحة الشيخ أم لا ؟

والجواب يكون ضمن عدة مستويات :

المستوى الأول : لا بد أن نعلم أن شرط الأعلمية في المجتهد من المسائل الخلافية بين الفقهاء وأسقطه جملة منهم ، وأرجع بعضهم الى أن الاعلمية شبهة حكمية بمعنى حكمها غير ثابت بالاصل بعد أن نعرف مستندها هو العقل

وليس الادلة اللفظية ، والبعض الاخر قال أنها شبهة موضوعية بمعنى أن المشكلة بعدم امكانية تحديد الاعلم بين جميع الفقهاء المنتشرين زمانا ومكانا ، وذهب رأي آخر الى أن الأعلم ينبغي أن يكون بينه وبين غيره فارق كبير وواضح في مستوى الاعلمية حتى يكون واجبا تقليده (وهذا رأي السيد الحائري دام ظله) ..

المستوى الثاني : على القول بشرط الاعلمية لا بد من معرفة وجوب تقليد الاعلم في كل مسألة اي : اذا علم بأن هنالك اكثر من مجتهد وكل واحد منهم اعلم بمسألة معينة فينبغي تقليدهم جميعا وحسب اعلمية كل منهم بمسألته التي هو أعلم بها .. وهذا نافع فيما المستوى الرابع القادم ..

المستوى الثالث : ينبغي لأتباع المدرسة الفقهية الصدرية حصر الاعلمية في دائرة المجتهدين الذين يأخذون من أصول السيد محمد باقر الصدر متنا ً ومرجعا ً ومصدرا ً لمباحثاتهم ومناقشاتهم الفقهية والاصولية وهذا بنص السيد الصدر الثاني الذي اخرج عن دائرة الاعلمية من لا علم له بأصول ابو جعفر ..

المستوى الرابع : على اتباع المدرسة الصدرية أن يضعوا بنظر الاعتبار مسألة ولاية الامر والتي تعتمد بالدرجة الا ساس على العمل بولاية الفقيه وممارستها وعلى الكفاءة القيادية والدراية بأمور المجتمع عن قرب . فليس الاعلمية مقتصرة على المهارة البحثية والتخصصية من غير قدرة على إدارة شؤون الامة ..؟ ونذكركم بإشكالية السيد الصدر

الثاني على مراجعة السيد كاظم الحائري (دام ظله) لا بسبب الاعلمية وإنما بسبب عدم القدرة على النظر بأمور العراق فضلا عن إدارته لشؤون المجتمع فيه ..

المستوى الخامس : لأن كانت شهادة الاجتهاد تصدر عن مجتهد آخر ، فإن شهادة الاعلمية تصدر عن مستوى أقل متمثل بأهل الخبرة الذين توفرت لهم فرصة الحضور عند أكثر من مجتهد ..

وعليه : فسماحة الشيخ اليعقوبي دام ظله هو أبرز تلامذة أصول الصدر الثاني والتي تعتبر خطوة متقدمة على أصول ابو جعفر بنص الصدر الثاني ، وهو العامل بولاية الامر للفقيه والممارس لها ، وهو الأدرى والأعلم بشؤون المجتمع العراقي خاصة والأخبر بها وتعايش مع حياة العراقيين لحظة بلحظة، بسراءها وضراءها وجميع تقلباتها ، والواقع السياسي والاجتماعي للعراق اثبت حصافة وحنكة هذا القائد الرباني ، وأما شهادة الاعلمية فقال بها جملة من طلبة البحث الخارج وأهل الخبرة منهم ، وهنا نريد أن نذكر بعض ما قاله أهل الفضل والعلم والخبرة في قوة علميته وبراءة ذمة مراجعته ومنهم الشيخ حيدر اليعقوبي الذي قال مراجعة الشيخ اليعقوبي مبرءة للذمة ، وكذلك اية الله علي الحلو الذي قال (وهو ان شاء الله ممن جمع الشرائط المبرئة للذمة عند المراجعة) والشيخ محمد الساعدي الذي صرح (ان من يطلع على الكتب الاستدلالية للشيخ اليعقوبي وهو من اهل الاختصاص يجد انها تمثل أرقى الطرق العلمية في الاستباط الفقهي ويمكن مقارنتها مع اي

كتاب لمجتهدين أخرين للوصول الى هذه النتيجة بوضوح)
.

هذه بعض دواعي تقليد ومراجعة سماحة الشيخ دام ظله ولكل امرء ان يعمل بحسب ما يجعله فارغ الذمة من اللّٰه تعالى بعد أن ثبت اشتغالها بوجوب اتباع فقهاء مدرسة اهل البيت عليهم السلام ، ويبقى الاحتياط عند التمكن منه سبيل النجاة ..

أدبيات عامة للعمل في مؤسسات وأذرع مرجعية سماحة الشيخ الولي (دام ظله)

من خلال عملي ببعض أذرع المرجعية الشريفة ومتابعتي لأ ذرع أخرى تابعة لها ، أقول : ينبغي فتح ذراع مرجعي خاص بتأهيل العاملين بالمؤسسات الرسالية وتغذيتهم بـ المباني الفقهية وأدبيات المرجعية الرسالية وأخلاقيات العمل الإسلامي العامة ، أو فتح دورات وورش عمل مكثفة وحقيقية لهذا الغرض (أي ليست إعلامية) ، وأقول هذا لتدارك الأخطاء وتسريع العمل وضمان إنتاجيته وفق الأ هداف العامة للمرجعية والخاصة لكل مؤسسة وذراع .

ولذلك سأذكر هنا بعض الأدبيات العامة للعمل الرسالي وأخلاقياته اللازم اتباعها من قبل العاملين وهي بمثابة الأحرف الأولى بهذا الصدد وتحتاج بكل تأكيد الى تعزيز وإعادة صياغة ورفد بأدلة ومصادر وخير معين لها هي خطابات وكلمات سماحة المرجع فإن فيها كل ما يحتاجه المؤمن الرسالي غير أنها مبثوثة وتحتاج الى جمع وتصنيف خاص ، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله ونذكر بعض الذي يرد بخواطرنا :

1. على الرسالي أن يحدد بأي ذراع أو مؤسسة يستطيع أن يعمل ويكون فيها منتجا ، فيأتي اليها بنية أداء الواجب الاجتماعي (الكفائي) ويحاول البقاء على هذه النية ويجددها لنفسه دائما وأبدا لما لها من آثار وإنعكاسات ايجابية شرعية وروحية بل عملية ايضا .

2. ساحة العمل الرسالي محفوفة بعدة محاذير شرعية ، وتحتاج الى مراقبة للنفس مستمرة ونركز هنا على أمور ينبغي التحلي بها من قبل العامل بمؤسسات سماحة المرجع ..

الامر الاول : لا صنمية ، بمعنى أن علاقتنا بسماحة المرجع بمقدار طاعة الله المرتبطة به والمتوقفة عليه وكفى .

الأمر الثاني : لا عصبية ، فالآخر (فرد أو مؤسسة) إن كان

أفضل فيقدم وإن كان مساو فيكتفى به (لأن السعيد من اكتفى بغيره) وإن كان ذا نقص فعلاقتنا معه تكاملية .

الأمر الثالث : عدم تحويل العناوين الثانوية الى قاعدة عمل اساسية ، فمن تسويلات النفس هو التنازل عن بعض المبادىء من خلال التعذر بالإضطرار والمصلحة العامة وبحجة العنوان الثانوي .

الأمر الرابع : لا مصلحة شخصية ، فالعمل الرسالي احيانا تتوفر فيه فرص مكاسب شخصية (مادية ومعنوية) فينبغي تفويتها ما أمكن وعدم اللّهث وراءها وإنتظارها ومحاولة إقتناصها ، نعم إذا توقف أداء الواجب عليها فتلزم .

3. ربانا سماحة المرجع على الإستشعار دائما بدورنا التأسيسي التأصيلي ، وهذا الدور يستلزم عدة متعلقات على رأسها الإلتزام بالمبادىء الإسلامية الرسالية بدقة لتقديم النموذج الحي ، وكذلك لا ينتظر المؤسس قطف ثمار من عمله الا تأصيل وتجذير مبادئه ، فالنوع عند المؤسس أهم من الكم ، والغاية لا تبرر الوسيلة ، والزمن عنده أبطأ من زمن الراكض وراء المكاسب الآنية والمعجلة ، والمؤسس يؤمل نفسه دائما بأن العاقبة له ..

4. الوعي والثقافة وحرية الفكر والحركة الرسالية الدؤوبة

والعمل بروح الفريق الواحد والتفقه في الدين وإدراك الواقع ومعرفة الظروف المحيطة ..الخ كلها من سمات وصفات المؤمن الرسالي ، فهو كأمة عملا ومسؤولية وإنتاجا ..

هذا فيض من غيض ولا نريد الإطالة حرصا منا على تكثيف المعنى واختصار الكلمات .. وعلى الآخر أن يعرف عن أتباع مرجعية الشيخ دام ظله هذه الأخلاقيات ، وعلى مقلدي سماحة الشيخ دام ظله (وأنا منهم) أن يرفعوها شعارا ومنارا في طريقهم الرسالي الشريف ..

مرجعية الشيخ اليعقوبي (دام ظله)

ومسؤولية بناء أمة صالحة

(١)

أن المتتبع لحركة مرجعية سماحة الشيخ اليعقوبي دام ظله يخرج بنتيجة مفادها أنه دام ظله يقوم بإعداد وبناء أمة من الناس تتسم بصفات ومزايا إسلامية عالية المستوى من النواحي الشرعية (الإلتزام الفقهي والاخلاقي) والوعي الإ سلامي الخاص والعام وكذلك الإتصاف بالكفاءة اللازمة لإ دارة وإصلاح المجتمع ..

ووجود هكذا أمة داخل الجسد الإسلامي العام ضرورة وحاجة ملحة تؤدى بها واجبات وتنزل لأجلها بركات ، ولأن تعذر الجماعة الصالحة من إصلاح كل مجتمعها فلا تعذر من واجبها اتجاه تشكيل أمة مصغرة من نفسها تعتبر بقية السلف الصالح ونواة وأساس المجتمع الموعود بخلافة الا رض ..

هذا ما أقرأه من مرجعيته المباركة ، وهنا في محاضرتنا هذه نريد ذكر بعض الأدوار التكوينية والتشريعية التي ينبغي أن تقوم بها الأمة الصالحة داخل مجتمعها :

1. تقوم الأمة الصالحة بمهمة إسقاط فرض الآية المباركة (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ال عمران 104

2. الأمة الصالحة تأخذ دور الابن الاجتماعي الشرعي الذي يرث أباه الأرض بعد أن نعرف أنه سيتم عزل جميع المنتمين للإسرة الانسانية الصالحة بالتبني ، فوراثة الارض وعد الهي وتحتاج الى سلسلة نسب تنجب وتلد السابقة اللا حقة حتى يخرج اللّه تلك الامة الوارثة للارض وخلافتها الحقة .

3. من مخرجات الأمة الصالحة هو القائد الصالح الذي تتوفر فيه قيود وشروط القيادة الصالحة ، والقائد الصالح من شرائط الوراثة السابقة ، فمن كلام لسماحة الشيخ دام ظله في الخطاب الفاطمي الاخير (وتبين السيدة الزهراء ع ان حركة الامة نحو وراثة الارض والتمكين فيها لا بد أن يقف على رأسها القائد الجامع للشروط) .

4. وجود الأمة الصالحة سبب لبركات كثيرة في المجتمع ، فبها تنزل البركات وتدفع بعض الابتلاءات ، ولقد نوه دام ظله الى هذه الجزئية عندما أشار الى سبب عدم تمدد داعش اكثر في العراق وأرجعها الى بركات وجود أمة من المجتمع العراقي تسعى لتطبيق قانون السماء في البلاد ملمحا في ذلك لاتباع مرجعيته الذين يبذلون جهدا في سبيل اقرار القانون الجعفري .. ويمكن تقريب الاية الكريمة (وما كان اللّه معذبهم وأنت فيهم) بأن الأمة التي فيها محمد (ص) أو مثل محمد (ص) لا تعذب ، والمجتمع الذي فيها أمة صالحة تجسد شريعة محمد (ص) وتقتدي وتقوم مقامه فيه لحري أن تشملها بركات الاية المباركة ووعدها الا لهي .

5. بوجود هكذا أمة تكون لله الحجة البالغة على عباده الذين انحرفوا قصورا او تقصيرا عن جادة السماء الحقة ، فهم بنتزعون وبجدارة دور الأمة الشاهدة على باقي أمم وتيارات وتوجهات مجتمعها ..

6. على نحو الاطروحة يمكننا إعطاء الأمة الصالحة داخل المجتمع عنوانا ومصداقا لمفهوم تغيير ما في نفس المجتمع الذي جاءت به الاية المباركة (إن اللّٰه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) والذي هو شرط التغيير الا لهي للمجتمع نحو الافضل والاسمى ، فتكون الامة الصالحة داخل المجتمع الواحد هي ضمير الأمة الحي وفطرتها الأ صيلة التي غيرت نفسها بنفسها وبهذا تكون سببا ومنطلقا لتدخل السماء ونزول الطافها على جميع أمم المجتمع الذي تعيش فيه .

فعلى أتباع مرجعية هذا الرجل الصالح أن يأخذوا هذا الدور في مجتمعهم وليعينوا قائدهم في تأديته ولا يكترثوا لما قيل أو يقال ولا يمدن عينيهم الى ما متع غيرهم به من زهرة الحياة الدنيا فإن اللّٰه ناصرهم ان شاء اللّٰه انه نعم المولى ونعم النصير ..

الأمة الصالحة وأركان إيجادها : تكلمنا في النقطة الأولى عن ضرورة وجود أمة صالحة داخل المجتمع المسلم وغير المسلم ، ولهذا الوجود أو الإيجاد أركان متى ما تحققت وأجتمعت أنتجت لنا تلك الأمة القادرة على أداء مهامها التشريعية والتكوينية ، وهذه الأركان هي :

الركن الأول : وجود القائد الكفوء والمتصدي لقيادة تلك الأ مة والسير بها نحو أهدافها ، وحسب أدبيات الإسلام الأ صيل ينبغي أن يكون هذا القائد معصوما أو نائبا عنه وهم فقهاء مدرسة أهل البيت (ع) العدول الذين تتوفر فيهم شروط ومقومات نيابة المعصوم ..

الركن الثاني : النظرية ، ونقصد هنا رؤية القائد الملائمة لقيادة الأمة الصالحة وحسب الادوار الموكولة اليها والتي أشرنا الى أهمها في المحاضرة السابقة وما تتضمن هذه الرؤية من آليات وأدوات وأساليب قيادة الأمة وطرق تطبيق النظرية الكبرى عليها (اي الاسلام) بما يوافق عوامل الزمان والمكان وطبيعة المجتمع المسلم المعين الذي تنشأ وسطه الجماعة الصالحة .

الركن الثالث : القواعد ، وهي الجماهير التي آمنت بقيادتها واستوعبت نظريتها وأدركت دورها الحقيقي وموقعها في الجسد الاسلامي والتي أخذت على عاتقها نصرة ذلك القائد والقيام معه تحت لوائه بدور الأمة الصالحة .

الركن الرابع : البيئة ، ونقصد بها مدى ملائمة المجتمع لنشوء وعمل الأمة الصالحة في وسطه ، ولنا في رسول اللّٰه (ص) أسوة حسنة عندما لم تكن ظروف مكة ملائمة لإيجاد نواة المجتمع المسلم تركها وهاجر الى المدينة .

فهذه الأركان الأربعة التي ينبغي توفرها واجتماعها لغرض انتاج أمة صالحة تملأ الفراغ الواجب إملائه بمثلها .

ولنا عليها تعليقات أيضا :

(1) بعد أن قلنا في المحاضرة السابقة ضرورة وجود وإيجاد الأمة على نحو الإجمال ، فهنا ينحل هذا الإجمال الى تفصيل يتمثل بالمقدمات الأربع اعلاه وهي تكتسب نفس درجة الضرورة للأمة لأنها مقدمة لها ومقدمة الواجب واجبة .

(2) الميسور لايسقط بالمعسور ، فتعذر وجود أحد هذه الأ ركان لتعسره لا يبرر عدم إيجاد الممكن منها وذلك للعلاقة الوطيدة بينها بحيث يكون كل واحد منها من أسباب إيجاد الآخر ، فالحصول على المتيسر يكون سببا لإيجاد المتعسر .

(3) لا ينصرف الذهن بأن كل من القائد والقواعد والنظرية والبيئة في الأمة ثابتة ، وإن حصل تغير أو تبدل القائد

(بسبب وفاته) أو القواعد أو بعض تفاصيل النظرية أو البيئة فإن الأمة قد تبدلت ..! ، بل قد تتعاقب على الأمة الصالحة في المجتمع المسلم المعين سلسلة من الأركان الأ ربعة أعلاه كون الامم الصالحة تكون اطول من عمر أفرادها ..

(4) لا نقيد الأمة بوطن مكاني واجتماع زماني وإنما يجمعها الوطن الفكري الذي يتعدى عامل الزمان والمكان ويلتزم بالمشتركات الفوقية السامية من أسس ومبادىء وقيم ووحدة هدف ..

هذه نظرة خاطفة لشرائط وأركان وجود الأمم والجماعات الصالحة وأسباب نشوؤها ..

(٣)الأمة الصالحة واستعداداتها الذاتية :

أشار القرآن الكريم في بعض آياته الى المواصفات والإ مكانيات الكامنة للأمة الصالحة وإستعداداتها المستقبلية المودعة بها غير تلك الحاضرة والآنية ، وعند التدقيق بهذه الإمكانيات المودعة سنجدها عبارة عن مواصفات ومميزات الأمة المصلحة وليس الصالحة ، فالإصلاح خطوة متقدمة على الصلاح ، فلأن يقتصر الصالح على إصلاح نفسه فإن المصلح هو ذلك الشخص الذي انتهى من إصلاح نفسه وتوجه نحو مجتمعه .

وأما الآيات التي أشارت الى هذا الاستعداد الإصلاحي للأمة الصالحة : قال تعالى (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) ، فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بشكلهما الأممي والمجتمعي لا الفردي وإعطاءهما موقعهما المناسب لكي يثمران حسناتهما في الدنيا لا الفردية والا خروية وكذلك تفعيل فريضة الامر والنهي وما يترشح عنها من اجتماعات بشرية راقية كل ذلك متوقف على شرط التمكين وبسط اليد وثني الوسادة لها كما يقال .

فالأمة الصالحة هي مشروع دولة عادلة قد أعد أهلها العدة لقيادتها وإداراتها ..

وهذه الأمة كما أن لها رؤية واستعداد لمهمتها عند التمكين ، فإن عندها رؤية دقيقة وثاقبة لسبل وطرق الحصول على هذا التمكين وما هي أفضل السبل لتحقيقه ، فهناك ثلاثة طرق مؤدية الى التمكين واحدة منها صحيحة قد استقرءها الشهيد السعيد محمد باقر الصدر وهو خير ما يستعان به في هذا الامر :

الطريق الأول : الإنقلابات والثورات العسكرية ، فبين قدس سره أن طريقة التغيير هذه لا يفكر بها الا السطحيون وهي لا تثمر عن مجتمع صالح ودولة عادلة .

الطريق الثاني : الإنقلابات الاقتصادية وتغيير الوضع المعيشي نحو الاحسن ، وهذه الطريقة يفكر بها الماديون

وهي غير منتجة ايضا .

الطريق الثالث : هو التغيير الذي أشار اليه القرآن الكريم عندما عبر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ) ، وهو الطريق الذي يفكر به الالهيون وهو أفضل الطرق ونتائجه أصيلة وثابتة وزاكية بطبعها.

فهذين الأمرين (الإستعداد) و (الرؤية الصائبة لطرق التمكين) هما الجناحان اللذان يوصلان الأمم والجماعات الصالحة الى دورهم الإصلاحي الأممي ..

(٤) البيئة الفرعونية

سبق وأن قلنا في النقطة الثانية أن البيئة التي تعيش في وسطها الأمة الصالحة تكون أحد الأركان الأربعة الموجدة لها ، ونريد أن نتطرق في هذه المحاضرة الى إحدى أهم وأخطر انواع البيئات على الأمم الصالحة وهي البيئة الفرعونية ، والأهمية تأتي من كثرة هكذا نوع من البيئات على طول مسار التأريخ من جانب وكذلك صعوبة تكوين أمة صالحة وسطها من جانب آخر .

فإذن : أصعب أشكال البيئة التي تعيش وسطها الأمم الصالحة هي البيئة الفرعونية ، ولهذا النوع والشكل مواصفات يتسم بها ويمكن تحديده عن طريقها أولا ، وكذلك له طرق معايشة وطرق علاج ثانيا ..

أما بالنسبة لسماته العامة فلقد ذكر لنا القرآن الكريم جملة من التصرفات الفرعونية ضد الأمة الصالحة التي تعيش وسط المجتمع الفرعوني ، ولقد نوه لها سماحة المرجع الشيخ دام ظله في خطابه الفاطمي الاخير وأشار اليها ومنها تفريق الجماعات المؤمنة ليدب الضعف فيهم ثم بعد ذلك يقوم بقتلهم وإستحياء نساءهم (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) .

وهنالك طريقة أخرى أيضا لمحاربة الجماعة الصالحة وهي تشريدهم خارج ديارهم كما أراد قوم لوط من ال لوط (ع) وكما عبر عنهم القرآن الكريم (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) .

وكذلك تتعرض الأمة من قبل المجتمع الفرعوني الى مضايقات نفسية كالتكذيب والاستهزاء والسخرية و المقاطعة والتعتيم والتسقيط (زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) .

والقرآن الكريم قد استوعب المجتمع الفرعوني وما يماثله وصفا ونعتا ..

وأما العلاجات او الطرق التي تقوم بها الأمة الصالحة اتجاه المجتمع الفرعوني فعديدة نذكر في هذا المختصر اثنين

منها :

1. الصبر والاستعانة بالله والتيقن بأن العاقبة للمتقين ، قال تعالى (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) . وهذا ما يركز عليه كثيرا سماحة المرجع دام ظله ويرشد اتباعه ومقلديه عليه ويؤملهم بالعاقبة الحسنة ..

2. الهجرة في سبيل الله الى بيئة ملائمة ، قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

من هذا نستشف أن الأمة الصالحة ينبغي لها أن تميز في أي نوع من المجتمع تعيش فيه وما هي سبل المكر والطعن التي توجه لهم وما هي المعالجات اللازمة لردها . ولا نبالغ إن قلنا بأن المؤمنين في العراق مرت بهم أيام الطاغية هكذا بيئة ولا زالت تمر للأسف الشديد وإن أخذت بعض العناوين الفرعونية الجديدة ، وما يلاحظ هنا أن فرعون يحكم العراق في أكثر مفاصله من خارج الحدود وإن كان ملأه في داخل الوطن.

(الأمراض المعنوية للأمة الصالحة) : المجتمع الإنساني ، كبيرا كان أم صغيرا ، تجتاحه أمراض اجتماعية تؤثر عليه سلبا وتكون سببا لزيادة انحرافه وضلاله إن كان منحرفا با لأصل أو سببا لإنحرافه عن سيره التكاملي إن كان صالحا .

ولأن ذكرنا في النقاط السابقة عدو الأمة الصالحة الخارجي فهنا نريد أن نتعرض الى عدوها الداخلي والنابع من ذات جسدها .. ونذكر ان شاء اللّه تعالى بعض تلك الأمراض على شكل نقاط ..

1. أمراض تصيب القادة داخل المجتمع الصالح بحيث تخلق فجوة بينهم وبين الرعية ونذكر منها الغلظة والأنفة و الكبر عند القائد ، قال تعالى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ۚ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) فهذه الآية المباركة تعرض لنا جانبا مهما من بعض الأمراض التي تصيب القادة اتجاه رعيتهم .

2. من الأمراض المهمة هو اتخاذ الأمة المؤمنة جماعات غير مؤمنة عونا لهم يستندون اليهم في بعض أمورهم قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِنْ

كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) .

3. التنازع ، قال تعالى (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

4. ترك فريضة التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وهذه الفريضة خطوة متقدمة بعد فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالمجتمع الصالح لا يحتاج الى امر ونهي وانما يحتاج الى تواصي المؤمنين فيما بينهم بالحق والصبر كما جاء في سورة العصر (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اشارة للامة الصالحة و (تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) اشارة الى فريضة الامر والنهي المتقدمة الخاصة بهم و المناسبة لمستواهم الايماني .

5. الإستئثار بدل الإيثار ، وهذه من الصفات السيئة التي تصيب جسد الأمة المؤمنة وهي عكس ما وصف اللّٰه سبحانه وتعالى المؤمنين الأنصار في مجتمع المدينة عندما جاء اليهم المهاجرون (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

هذه بعض الأمراض الاجتماعية ..

تحديات مرجعيته

لم تكن هذه المرجعية ذات الخصائص المنسجمة مع المرحلة التي تعيشها الأمة وتعمل على حمل أعباءها على عاتقها وتوفير الظروف الملائمة لها لتكون امة كما ارادتها السماء ولتأخذ نصيبها من الدنيا كحال الأمم المتقدمة و المستقرة والمرفهة وبما لا يتعارض مع الغرض الأساسي من وجودها على هذه الأرض .. رغم كل ذلك لم تكن الأجواء صافية لها (اذا صح التعبير) وعانت من جملة من التحديات في أداء مهمتها ولا زالت تعاني للأسف الشديد . ومن تلك التحديات نذكر :

- الوضع الجديد الذي يعيشه العراق خاصة : حيث يشهد العراق منذ عام ٢٠٠٣ وهو العام الذي اخذت مرجعية الشيخ اليعقوبي دورها كمرجعية في الساحة الاسلامية تحولا في نظامه السياسي والذي أدى إلى تحولات كثيرة في باقي مفاصل الحياة في هذا البلد ، كالاجتماعية والاقتصادية والا منية وحتى الثقافية والعلمية ، وهذه بمجموعها جعلت من العمل المرجعي ليس بالمهمة السهلة خاصة اذا عرفنا ان النظام الجديد استدعى إلى استحداث مؤسسات ذات مهام مختلفة ترجع قيادتها بصورة مباشرة وغير مباشرة إلى مرجعيته ، وهذا يعني زيادة العبء والاضطلاع بمهام كبيرة جدا .

• الحوزة الشريفة : كما هي العادة ولا نريد ذكر ما ذكرناه سابقا ً وهو أن الحوزة لا تميل الى الحوزة الحركية الفاعلة في المجتمع والتي تضطلع بشؤونه وقيادته وعدم ا لاقتصار على الافتاء والقضاء ، وعدم الميل هذا يترجم إلى أشكال متعددة من المواجهة ، كالنقد وعدم الاعتراف به كمرجعية اصلا ً إلى التسقيط ومحاولة اجهاض بعض المشاريع ، لازالت حوزة النجف الاشرف (صانها الله من كل مكروه) معقدة التركيب صعبة التغيير والتجديد الموائمة لظروف الأمة ومتطلبات المرحلة التي تمر بها ، بل غير سهلة السياقات حتى في الأمور المتعلقة بها وبشؤونها و التي لا تدخل بمصالح الأمة بصورة مباشرة ، فهي عبارة عن حوزات متعددة وتكاد تكون منفصلة ومنعزلة بعضها عن البعض مما صعب كثير من الامور وحال تحقيق كثير من الا هداف التي عمل عليها مراجع كبار ..

• المجتمع : فتعدد المرجعيات الدينية المؤثرة في الساحة العراقية وكذلك تعدد الانتماءات السياسية والاجتماعية ، وانفتاح العراق على ثقافات متعددة ، علاوة على التمتع بحرية كبيرة بعد سنوات كان بها العراق شبه سجن كبير يعاني انواع اشكال العذاب عن أثر تسلط نظام طاغي دموي استمر لعقود قد اهلك الحرث والنسل .. كل ذلك صعّب من عملية قيادة الأمة ، الأمر الذي جعل مرجعيته مقتصرة بشريحة معينة قد رأت من هذه المرجعية القيادة الصالحة والرشيدة في الوقت الراهن . فلم تستوعب الامة مشروعها الرسالي ولا زالت تعتبر بعض نقاط القوة في مرجعيته نقاط ضعف وعلى رأسها التصدي السياسي من خلال تشكيل الذراع السياسي لمرجعيته والمتمثل بحزب الفضيلة

الأسلامي ، لا زالت غالبية الأمة تميل إلى المرجعية التقليدية المنزوية والتي تهتم ببعض المهام ذات الجنبة القداسية والاخوندية كما يعبر عنها احيانا .

- غياب الحلقة الوسطية : رغم نزول مرجعيته إلى الساحة والعمل بين الامة واستثمار طاقاتها في تحقيق اهدافها العليا السامية الا ان المشاريع والمؤسسات التابعة لمرجعيته والتي الأذرع والادوات والآليات والقنوات التي تعمل بها هذه المرجعية داخل الامة تحتاج إلى نخب وطلا ئع قادرة على ادارتها وبالشكل الذي تريده المرجعية وتسمح به الظروف الراهنة ، وهي بهذا ستكون تلك النخبة التي تدير شؤون هذه المؤسسات بمثابة الحلقة الوسطية بين المرجعية والامة .. وهل توفرت لسماحته هذه الحلقة المناسبة والكافية لمشروعه الرسالي الكبير ؟ بالتأكيد وبضرس قاطع أقول : ام تتوفر لا بالنوع ولا بالعدد الكافي رغم عدم خلوّ المشروع من أفراد أكفاء وشخصيات استطاعت ان تنهض بالمشروع خطوة نحو الأمام . وهذا من التحديات الكبيرة التي لا زالت تعاني منها مرجعية الشيخ اليعقوبي وتقع مسؤوليتها بالتأكيد على الأمة .

خطباء المراجع

الخطابة من أهم الوسائل والأدوات الدعوية بين الأمم وقادتها - بغض النظر عن نوع وشكل وهدف القيادة - ، وهي الأداة والوسيلة القديمة الحديثة ، قد تتجدد ببعض أطرها وجوانبها ولكن عمودها الفقري وأهم أسسها باقية ، وهي أن يجتمع ويلتقي الخطيب بالمخاطبين ويعرض عليهم ما يريد عرضه ويحصل نوع تفاعل - يقوى ويضعف - بحسب عدد من العوامل لا يهمنا عرضها الآن ..

وللخطابة في المجال الديني والرسالي دور كبير جداً ومحوري ومارسه معظم الأنبياء واوصيائهم والأولياء و القادة والمصلحين ، وبعض الأنبياء عُرف بهذه الصفة ، كنبي اللّه شعيب عليه السلام ، فقد رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى اللّه عليه و آله) إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ شُعَيْبٌ قَالَ: " ذَلِكَ خَطِيبُ

الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ..." بحار الأنوار ١٢/ ٣٨٤ . وكذلك وردت هذه الصفة لنبي اللّه داوود عليه السلام ، فجاء في كتاب المناقب لدى ذكر مناقب الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السّلام) أنّ داود خطيب الأنبياء ، و علي أوتي فصل الخطاب . ٣/ ٢٥٥

ولقد قام رسول اللّه صلوات اللّه عليه خطيباً في قومه في الكثير من المناسبات والمواقف ، كأيام الجمعة والأعياد وبعض الأحداث المهمة كيوم الغدير وغيره .. وعُرف أمير المؤمنين ع ببلاغته وفصاحته الخطابيه التي لا يجاريها أحد وبشهادة العدو قبل الصديق ، وما جمعه الشريف الرضي من خطب الأمير في نهج البلاغة خير شاهد ودليل على ذلك ..

وقامت الزهراء ع خطيبة بالقوم بعد ما جرى على الإسلام وعلى بيتها خاصة .. والخطابة في الإسلام لها جذورها المتأصلة في أهم أسسه وأركانه ، فالقرآن الكريم خطاب اللّه الى عباده ، ويوجب الفقه الإسلامي الخطابة في صلاة العيد وصلاة الجمعة .. وقد تجب او تكون مستحبة عند طرو بعض الأحوال والمواقف التي تستدعي القاء خطبة ..

ولقد شهدت أيامنا هذه بحمد اللّه بروز مرجعيات وقيادات دينية اتخذت من الخطابة وسيلة دعَوية وإرشادية ورسالية ، مارستها بنفسها وقامت بهذا الدور بذاتها ، كالسيد الشهيد الصدر الثاني قدس سره الذي كان منبر الجمعة في مسجد الكوفة زمان ومكان خطبه التي وصل عددها الى ٩٠ خطبة على مدى ٤٥ جمعة .. قام فيها داعياً الى اللّه واعظاً وهادياً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر حتى دعاه اللّه الى جواره شهيدا سعيدا ..

وجاء بعده تلميذه ووصيه آية الله المرجع اليعقوبي دام ظله متخذاً من الرواية الثالثة لشهادة الزهراء عليها السلام في النجف الأشرف مكاناً وزماناً لخطب فاطمية سنوية تحضرها جموع غفيره من المؤمنين ومن شتى محافظات العراق .. وعلى مدى ستة عشر عاماً اعتلى منبر الزيارة الفاطمية الكبرى ناعياً للزهراء وناصراً لها وموجهاً للمؤمنين وناصحاً لكافة شرائح المجتمع ..

وكل من لديه اطلاع ومتابعة يجد أن المراجع الخطباء - بهذا القيد - من الأمور النادرة والقليلة جداً ، وطبعاً أنا لا اتكلم على مستوى الكلمات والمحاضرات والمجالس .. وانما اتحدث عن خطاب عام يوجهه المرجع للأمة وبحضور غفير وينطق به بنفسه ..

حفظ الله جميع مراجعنا ، ونصر الله من ينصره والحمد لله رب العالمين .. آجركم الله بذكرى شهادة الزهراء .

مرجعية الشيخ اليعقوبي (دام ظله)

دور متقدم لمرجعية الصدرين العظيمين (قد)

لم تكن مرجعية الشيخ اليعقوبي دامت بركاته وليدة نفسها ، بل هي ولادة طبيعية شرعية أنجبها رحم الخط الصدري المبارك والمتمثل بالمرجعين العظيمين الصدرين الأول و الثاني قدست أرواحهم الطيبة حيث جاءت الظروف المرحلية الراهنة والتي يمر بها العراق خاصة منذ سقوط

حكم البعث فألقحت وخصبت ذلك الرحم الطاهر فكان النتاج مرجعية المرحلة التي ملأت سماء العراق وأرضه بـ المشاريع الدينية والوطنية والرسالية حتى اصبح وجودها يمثل آيقونة مهمة لا تستغني عنها شاشة المشاهد السياسية والدينية والاجتماعية وغيرها .. كثير من الأمور تحسب لهذه المرجعية وعلى رأسها فهمها لواقع المرحلة التي تعيشها وإدراكها له الأمر الذي جعلها تتنبأ كثيرا من الأمور و الاحداث أثبت الزمان صحتها فلحقها من كان ينتقدها واحتذى بها وسار على أثرها مسير الفصيل إثر إمه ..

انعكست شخصية سماحة الشيخ على مرجعيته ، فأخلاقه العالية وهديه المبارك وسماحته المستقاة من الشريعة السمحاء يعرفها كل من جالسه او استمع له ، هي بحق مرجعية الزمان والمكان ، تتعامل مع روح النص وتسقطه على حاضرها مستفيدة من ذوق اسلامي عالي المستوى لتخرج لنا بفتاوى وخطابات ومشاريع ومؤسسات تعالج عصرها خير معالجة ..

ولكن العين لا تخلو من قذى رغم قرتها بهذه المرجعية الشريفة ، وسببه يعود لغيرها (ممن يرجع اليه وممن لا يرجع اليه) الذي جهلها او تجاهلها وكأنه يأبى الا أن يجري على نفسه سنة التاريخ الذي طالما ظلم مبدعيه ورجاله وصانعيه الا بعد حين حيث يبدأ الويل والثبور عسى أن يسترد بعض ما فقده ..

شهادة لا تكتم

تشرّفتُ يوماً ومعي بعض الأخوة - وممن تعرفوه منهم الا

استاذ مهند العتابي - على سماحة السيد علي السبزواري - دامت بركاته - ، وقبل الدخول الى مكتبهِ الشريف اتفقنا ان نسأله عن سماحة المرجع اليعقوبي - دام ظله - ، فاستقبلنا وجلسنا في محضره المبارك وبادرت انا - على ما اتذكر - بِالسؤال : قلت له سيدنا أتينا لنسألك عن سماحة الشيخ اليعقوبي .. هكذا ولم نحدد بعد تفاصيل السؤال .. فبادر هو بالجواب مباشرة قائلا ً :

(لديّ وصيّة من الوالد أن لا أدخل في معمعة الأعلمية ..!)

ارتبكنا في الواقع واستعجلنا الخروج .. واتفقنا في الخارج ان جوابه كان رائعاً ومبطناً ، فهو جعل جناب الشيخ المرجع في دائرة الاعلمية وتجاوز مستوى النقاش الدائر في وقتها عن أصل اجتهاده ..

ولقد استفسرت بعد ذلك من جناب الشيخ عباس خليفة - دامت بركاته - عن فهمنا لردّ السيد السبزواري فصوّبه لي بل طلب مني أن اعرض الحادثة على سماحة المرجع .. ولم أفعل لحد الان ..

هذه شهادة أشعر بعدم جواز كتمانها واتمنى ان تصل الى سماحة المرجع دام ظله .. حفظ الله السيد السبزواري وسماحة المرجع المفدى .. والحمد لله رب العالمين

ملحق في السيرة التفصيلية لحياة ومرجعية الشيخ اليعقوبي دام ظله الشريف

هو الشيخ محمد بن الشيخ موسى بن الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب بن الحاج جعفر الذي تتفرع منه اسرة آل اليعقوبي، وكان من وجهاء النجف وموضع ثقة العلماء ومراجع الدين، وقد اعتمد عليه المرحوم الشيخ موسى الشيخ جعفر كاشف الغطاء الملقب بالمصلح بين الدولتين (توفي سنه 1243 هجرية) في بناء سور النجف لصدّ هجمات الوهابيين (1)، ويرجع نسب الاسرة الى قبيلة الا وس الانصارية(2).

ولد في النجف الأشرف فجر المولد النبوي الشريف عام 1380 هجرية الموافق أيلول/1960، ونشأ في أسرة علمية دينية اشتهرت بالخطابة والأدب، لذا سجلت جملة منهم معاجم الأدب والفكر والخطابة(3)، كأبيه الشيخ موسى (توفي عام 1982 /1402) صاحب مجلة الأيمان الشهيرة - وجده الشيخ محمد علي (توفي عام 1385/ 1965) الملقب بـ (شيخ الخطباء)، وجده لأمه الشيخ مهدي(توفي عام 1372هـ/ 1951م) وجد أبيه الشيخ يعقوب (توفي 1329هـ/1910م) الذي اشرف على تربيته وصي ابيه المرجع الكبير السيد مهدي القزويني (توفي 1300 هـ) ونهل من المدرسة العرفانية والأخلاقية للمرحوم الشيخ جعفر الشوشتري والمرحوم الشيخ حسين قلي الهمداني .

انتقل مع عائلته إلى بغداد عام 1968 لارتباط أبيه

بنشاطات دينية واجتماعية وسياسية مع المرحوم الشهيد السيد مهدي الحكيم نجل المرحوم المرجع الأعلى السيد محسن الحكيم (قدس سره) والذي كان يتمتع بزعامة دينية واجتماعية في بغداد .

نهل المعارف الدينية منذ نعومة أظفاره حيث كان يرافق أباه ويحضر مجالس خطابته ويلتقطها بدقة ثم يسردها بـ التفصيل - بعد عودته - على والدته (رحمها الله تعالى)، وكان أبوه (رحمه الله) يشيد بنبوغه المبكر أمام العلماء و الفضلاء، وبدأ مطالعة المجلات و الكتب وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره، وألّف بحثاً موسعاً بعنوان (الخمر أم الخبائث) رجع فيه الى كتب اللغة والتفسير والحديث والا دب والنشرات الطبية والفكرية، وهو طالب في الثاني المتوسط ولم يبلغ الحلم، وكان نوع الكتب التي يطالعها تتعمق كلما مرت عليه الأعوام، وكان ولعاً بقراءة سير العظماء وتراجم العلماء حتى إنه ساعد أباه المرحوم الشيخ موسى في استخراج تراجم الادباء الذين ورد ذكرهم عند تحقيقه الذي لم يكتمل لمخطوطة أبيه المرحوم شيخ الخطباء (مع الشريف الرضي في ديوانه) وهو صبي لم يبلغ الحلم، فكانت هذه القنوات المعرفية أساس تكوينه العلمي .

والتحق أيضاً في حدود سنة 1973 خلال العطلة الصيفية بحوزة علمية دينية مصغرة أسسها المرحوم السيد علي العلوي (الذي هُجّر مع أولاده الى إيران عام 1974) في حي العبيدي ببغداد.

أكمل دراسته الأكاديمية في بغداد في متوسطة الامام الجواد (عليه السلام) الاهلية، ثم الإعدادية الشرقية في الكرادة وتخرج منها بتفوق، حتى حصل على شهادة البكالوريوس في الهندسة المدنية من كلية الهندسة /جامعة بغداد عام 1982 وكان عليه الالتحاق بالخدمة العسكرية بموجب التجنيد الإلزامي، وكانت يومئذ الحرب العراقية الإ يرانية مشتعلة إلا إن تربيته الرسالي ـة جعلت ـه يرف ـض أن يرتدي ملاب ـس الظَ ـلَم ـة ويك ـون ج ـزءاً م ـن منظومتهم ولو للحظة واحدة، وانزوى في الدار رغم ان هذا القرار يكلفه حياته حيث كان جلاوزة النظام ينتشرون في كل مكانُ خصوصاً في بغداد، ويُعدم المتخلف عن الخدمة العسكرية رمياً بالرصاص في حفلة علنية.

تف ـرغ للمطالعة بدراس ـة وتأمل وتحقيق وب ـدأ يكتب و يؤل ـف -ككتاب دور الأئمة في الحياة الإسلامية - م ـن دون أن يجد من يرعى كفاءته في تلك الظروف القاهرة، حتى قيض الله تبارك وتعالى بلطفه طريقا سرياً عبر عدة وسائط للتواصل مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قد سره)، وكان ذلك عام 1985م، وأثمر عن عدة كتابات ومراسلات في الفكر الإسلامي والأخلاق وتهذيب النفس طبعت ضمن كتابين هما (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) وكتاب (قناديل العارفين)، كما كتب السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) من وحي تلك الأفكار موسوعته الضخمة (ما وراء الفقه) وكتاب (نظرة في فلسفة الأحداث في العالم المعاصر) .

وبعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام 1988 رجع إلى النجف الأشرف وتزوج كريمة المرحوم شهيد الانتفاضة

الشعبانية العلامة السيد محسن الموسوي الغريفي وبين الا سرتين مصاهرات عديدة تمتد لأزيد من مئة وخمسين عاماً، وأنجب منها ولدين وخمس بنات .

شارك في الانتفاضة الشعبانية عام 1991 وخرج مع المجاهدين من أبناء النجف الأشرف للدفاع عن كربلاء المقدسة بعد أن زحفت عليها قوات الحرس الجمهوري، لكنّ الثوار أرجعوه مع غير المسلحين إلى النجف فلم تتوفر له فرصة المشاركة في القتال .

وكتبَ بياناً وكلمات مهمة في نصرة الانتفاضة ورفع معنويات شبابها، أُذيعَ بعضها من مكبرات الصوت للصحن الحيدري الشريف.

وبعد مبايعة الثوار للسيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قائداً للثورة قبل اعتقاله بيوم واحد شكّـلَ (قدس سره) خمس لجان لقيادتها، فجعل الشيخ اليعقوبي رئيساً للجنة السياسية والإعلامية. لكن هذه اللجان لم تستطع مواصلة عملها بسبب هجوم قوات الحرس الجمهوري الصدامي على النجف الأشرف في اليوم التالي لتشكيلها واعتقال السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس الله سره).

إرتدى الزي الديني مطلع عام 1992 (شعبان /1412هـ) وتوجهُ بالعمامة المرجـع الأعلى المرحوم السيـد الخوئي

(قـدس سره) في داره في الكوفة وكان يعيش في ظروف قاهرة ولا يتصل به الا قلة بسبب تداعيات الانتفاضة الشعبانية وحمله قهراً الى بغداد . وكان السنـد الأول للسيـد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) والوحيد الذي آزره في بداية إعلان مرجعيته في تلك السنة ، وهذا ما ذكره السيد الشهيد الصدر نفسه في بعض لقاءاته المسجّلة، واقنع وجوده إلى جنبه (قدس سره) الكثيرين من داخل الحوزة العلمية وخارجها بالرجوع إلى السيد الشهيد الصدر (قدس سره) حتى انتشرت مرجعيته (قدس سره) واتسعت، وأصبح الشيخ اليعقوبي الرجل الثاني بعد السيد الصدر (قدس سره) في هذه المرجعية الرسالية .

عيّنهُ السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عميداً لجامعة الصدر الدينية بعد تأسيسها بسنة تقريبا ً ، وهي المؤسسة التي تنهض بالمشروع المتكامل بين الحوزة العلمية والجامعات الأكاديمية، ولم يجد (قدس سره) شخصاً مناسباً يقود هذه المؤسسة ويحقق أهدافها غير سماحة الشيخ، لأنه حاز قصب السبق في المجالين، - كما عبّر (قدس سره) لسماحة الشيخ عندما كلّفهُ بالأمر في شهر صفر عام 1419 هـ .

وكان (قدس سره) يشيد به ويشير إليه ونشرت بعض هذه الكلمات في مقدمة كتاب (المشتق عند الأصوليين) و (قناديل العارفين)، وقبل استشهاده بخمسة أشهر وبالضبط يوم 5/جمادى الثانية/1419الموافق 1998/9/27م، رشّح الشيخ اليعقوبي لخلافته بقوله في لقاء مسجل مع طلبة جامعة الصـدر الدينية : (.... والآن أستطيع ان أقـول إن المـرشـح الوحيـد من حوزتنا هو جناب الشيخ

محمد اليعقوبي الى وقت امد الله لي في العمر وشهد باجتهاده.. اذن هو الذي ينبغي أن يمسك الحوزة من بعدي وانا لا اعدو عنه) .

لازمَ السيد الشهيد الصدر حتى استشهاده في ذي القعدة / 1419هـ الموافـق شبـاط /1999م، وهـو الـذي تولـى الصـلاة على جسـده الطـاهـر وولديه وواراه الثرى مع عدد الأصابع من الموالين في تلك الأجواء المشحونة الرهيبة ووسط جلاوزة النظام المدججين بالسلاح .

تولى سماحة الشيخ اليعقوبي السير بشُعلة الحركة الإسلامية التي أوقدها السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في العراق ورعاية قواعدها التي يشكل أتباعه (قدس سره) غالبيتها، وقد عمل بآليات جديدة بعد أن عطّل النظام آليات عمل السيد الشهيد الصدر (قدس سره) وفي طليعتها صلاة الجمعة المباركة، وقد تضمنت مذكرات سماحة الشيخ المطبوعة في كتاب عنوانه (جهاد واجتهاد) تفاصيل موسّعه.

دراسته الدينية :

نظراً لحصيلته العلمية والثقافية الوافرة التي اكتسبها من

المطالعة وحضور مجالس العلماء والخطباء طيلة عشرين عاماً، فقد بدأ سماحة الشيخ اليعقوبي دراسته النظامية في الحوزة العلمية من السطوح المتوسطة (أي شرح اللمعة وأصول الفقه للمظفر (قدس سره)) في جامعة النجف الدينية بقناعة من عميدها المرحوم السيد محمد كلانتر (قد سره)، وقطع مراحل الدراسة بفترة قياسية بجد و اشتغال، وتزامناً مع دراسته للسطوح العالية التحق ببحوث الخارج برغبة من السيد الشهيد الصدر (قدس سره) فحضر بحث الأصول اللفظية عنده (قدس سره) من شوال 1414 حتى استشهاده في ذي القعدة 1419/هـ، وطبع من تقريراته مبحث المشتق في جزئين وحضر بحوث الأصول العملية عند سماحة آية الله الشيخ محمد إسحاق الفياض في الفترة (1417- 1421) وحضر في الفقه عند آية الله السيد السيستاني في (1415-1420) وعند المرحوم الشهيد الميرزا علي الغروي (قدس سره) (1416-1418) وقرّر تلك البحوث .

بـدأ بتدريس المقدمـات قبل مرور سنـة على التحاقـه بـالحوزة العلمية في جامعة النجف وكان تدريسه للرسالة العملية للسيد الشهيد الصدر (منهج الصالحين) استدلالياً مقارناً يتوصل إليه بتأملات إذ لم تتوفّر المصادر يومئذٍ لتشديد النظام المقبور على الكتاب الديني، وعدّ الشهيد الصدر في احدى لقاءاته المسجلة هذا الدرس من دلائل أعلميته حيث كان الشيخ اليعقوبي يقوّي غالباً رأي السيد الشهيد مدعوماً بالدليل .

ثم تدرج في تدريس السطوح المتوسطة (اللمعة وأصول الفقه) والعالية (المكـاسب والكفاية)، وكانت حلقته العلمية

من أوسع الحلقات حضوراً وأكثرها عطاءاً، وكان درس الكفاية يحضره حوالي 200 من الفضلاء في مسجد الرأس الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين (عليه السلام).

وبدأ إلقاء محاضراته في البحث الخارج في الفقه في (شعبان 1427 هـ/2006م)، واختار المسائل الخلافية لتكون موضوعاً لبحثه، حيث يختار مسائل ذات عمق علمي ومثار جدل بين الفقهاء ليكون أكثر إنضاجاً للفضيلة العلمية مع كونها ذات آثار عملية، ويحضر بحثه ألان أكثر من (200) من فضلاء وأساتذة الحوزة العلمية، وقد حرّر إلى الآن أكثر من (ستين) مسألة مهمة علمياً وعملياً، وتطبع هذه البحوث تباعاً في كتاب عنوانه (فقه الخلاف)، وقد صدر منه اثنا عشر مجلداً (لحد الان) واثنان آخران تحت الطبع ومن مميزات بحثه تعرّضه لآراء أساطين القدماء وأعلام المعاصرين من مدرستي النجف الأشرف وقم المقدسة.

حركته الاجتماعية :

كان سماحة المرجع منذ نعومة أضفاره محباً للعمل الإسلامي وحركة الوعي فكان يرتاد المساجد ويستمع إلى الخطباء وينقل إلى زملائه ما تعلمه من قضايا دينية وتاريخية.

ويطالع الكتب التي تدعم هذا التوجه حيث كانت البدايات مع مجلة الإيمان التي أصدرها المرحوم والده في

ستينيات القرن الماضي وهي من مصادر توعية أبناء الحركة الإسلامية، واستفاد من كتابات المفكرين الإسلاميين في الكتب والمجلات وعلى رأسهم السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس الله سره).

ثم نال تربية خاصة من خلال مراسلاته مع السيد الشهيد الصدر الثاني منذ عام 1985 لذا بادر إلى الالتحاق به بمجرد عودته إلى مزاولة حياته الطبيعية عام 1988 وعندما أرتدى الزي الديني عام 1992 فتحت له الحوزة العملية آفاق واسعة للعمل الديني المبارك ضمن حركة السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) الذي أعجب بحكمته وبصيرته واتزانه وأخلاقه والتقدم السريع في مؤهلاته العلمية والعملية لذا لم يتردد في ترشيح سماحة الشيخ لخلافته في قيادة الحركة الإسلامية وإن كان الوقت سابقاً لأوان طرح عنوان المرجعية، لذا أمر (قدس سره) بالرجوع بعده إلى سماحة الشيخ قيادةً إلى أن يُشهد له بالاجتهاد فيكون الرجوع إليه قيادة وتقليداً وهذا كله موثق بصوت السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره).

وعقب استشهاد السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وضع سماحة الشيخ برنامجاً لعمله بصبر وثبات في مواجهة التحديات والعقبات التي أشار إليها في مذكراته (جهاد واجتهاد) واتبع أساليب جديدة للعمل أثمرت في أستعادة بريق الحركة الإسلامية ولم شتاتها بعد الصدمة التي أحدثها استشهاد السيد الصدر الثاني عام 1999.

فبالإضافة إلى وظيفته الرئيسية وهي تدريس الفقه والأ

أصول في مسجد الرأس الشريف، كان يستثمر حضور هذا الحشد الكبير من الفضلاء المريدين له والواثقين بنهجه وهم من مختلف الجهات المرجعية ليلقي في بعض المناسبات محاضرات (4) في الوعي الإسلامي واستلهام الدروس من سيرة أهل البيت (عليهم السلام) في الهداية وا لإصلاح للارتقاء بالحوزة العلمية لتتحمل مسؤولياتها في قيادة المجتمع وكانت تلك المحاضرات تقض مضاجع النظام البائد فيقف أزلامه في باب المسجد والمنطقة القريبة لإرعاب الحاضرين، وفي إحدى المحاضرات دخل مدير أمن النجف إلى المسجد وطلب من الحاضرين الا ستماع اليه ليوجّه لهم النصح بترك النشاط الديني وتوعية ا لأمة والاكتفاء بتحصيل الدروس المتعارفة، وكانت هذه المحاضرات تسجّل صوتيا وتنتشر بآلاف الكاسيتات في مدن وسط وجنوب العراق وخارجه مما عرف بـ(ثورة الكاسيت) وكان لطلبة جامعة الصدر الدينية الدور الشجاع في هذا النشر بحماس وتضحية.

وأحدثت محاضرات (شكوى القران) هزة كبيرة في وعي ا لأمة وكذا خطاباً (كيف خطط رسول الله (صلى الله عليه و اله وسلم) للخلافه من بعده) و (ماذا خسرت الأمة حينما ولّت أمرها من لا يستحق؟) وكان النظام الصدّامي يعتقد انه مستهدف بهذه الخطابات.

كما كان سماحة المرجع يتصدى لبيان الموقف الديني من القضايا المهمة كموقفه الحازم ضد قرار الحكومة بمنع التقاط الطالبات صوراً بالحجاب الشرعي في الهويات التعريفية ونال صدى واسعاً فاضطر النظام لإلغائه، وكذا منعه من تداول السكائر الأجنبية التي كان يتاجر بها أولاد

المقبور، وكذا موقفه الحكيم من الغزو الأمريكي للعراق عام 2003 والذي أصبح موقفاً عاما للشعب العراقي وكانت هذه المواقف تلقى استجابة واسعة من المؤمنين الذين يرجعون في تقليدهم إلى عدة أعلام .

واهتم سماحته بالشباب والفتيات فكتب (فقه طلبة الجامعات) الذي انتشر بقوة لدى طلبة الجامعات وطبعت منه ألاف النسخ سراً وكتاب (الحوزة وقضايا الشباب) وصدر بإشرافه (دروس للصبي المسلم) و(دروس للفتى المسلم) وقصص وروايات منوعة.

كما اهتم بتثقيف المرأة وتوعيتها، ومن إصداراته في هذا المجال (فقه المرأة المسلمة) و(دور المرأة في بناء العراق الجديد) و(الخطابة النسائية بين الواقع والطموح) و(الأربعون حديثا في قضايا المرأة) وصدر بإشرافه (رفقاً بـالرجال يا قوارير) و(فلسفة تشريعات المرأة).

ومن نشاطاته التي كرس لها كثيراً من اصداراته، تشخيص الظواهر المنحرفة والمشاكل الاجتماعية ومعالجتها على شكل بيانات وفتاوى تفصيلية تتضمن النصيحة والموعظة والفات النظر الى الآثار السلبية اجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وفكرياً ونحوها، وكانت منشوراته هذه توزع بالآلاف في عهد النظام البائد وتثير قلقه كما صرحوا بذلك، وصدر في هذا المجال حلقات من كتاب (ظواهر اجتماعية منحرفة) وأربعة عشر كتاباً من سلسلة (نحو مجتمع نظيف) و(احذر في بيتك شيطان) و (فقه العائلة) و(الزواج والمشكلة الجنسية) وغيرها.

وبعد أن أعلن الغرب بدء (صِدام الحضارات) مع الشرق

المسلم بعد أحداث (11ايلول /2001) قاد سماحته مشروعاً لبيان أسس ومرتكزات الحضارتين وتفوّق حضارة ا لإسلام، وألقى عدة محاضرات جُمعت في كتاب (نحن و الغرب) الذي ترجم إلى بعض اللغات الأجنبية.

ومن الفعاليات المهمة التي قام بها في فترة النظام البائد تنظيم الدورات الصيفية لمدة شهرين خلال العطلة لطلبة الجامعات يتلقون فيها دروساً في الفقه والأخلاق والعقائد والقران والوعي الإسلامي والتحق بها ما يقرب من مئتي شاب، وتجد الكلام مفصلا ً في كتاب (جهاد واجتهاد).

مرجعيته :

تريّثَ الشيخ اليعقوبي في إعلان اجتهاده مراعاةً لأدبيات الحوزة العلمية، لكنه كان يضمِّن درسه في كفاية الأصول - الذي كان يلقيه في مسجد الرأس الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين (عليه السلام) إتماماً لدرس السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بطلب من تلامذته ثم بدأ دورة جديدة عام 1422هـ/2001م، بحضور عدد كبير من الأ ساتذة والفضلاء - مناقشاته لصاحب الكفاية ويؤسس لمبانيه الأصولية المستقلة، كما قام بنشر بعض بحوثه الا ستدلالية التي كتبها إيضاحاً لبعض المسائل الخلافية منذ عام 1420هـ مما عزّز القناعة لدى كثيرين بأن وصية الشهيد الصدر (قدس سره) في سماحة الشيخ التي

انتشرت بصوته وقال فيها (والآن أستطيع ان أقـول أن المـرشـح الوحيـد من حوزتنا هو جناب الشيخ محمد اليعقوبي إلى وقت أمد الله لي في العمر وشُهد باجتهاده..) قد تنجّزت لكن سماحته كان يرى إن وقت إعلان الاجتهاد لم يحن وفق السياقات المعمول بها في الحوزة العلمية وان كانت الملكة موجودة ثبوتاً كما يقولون لكن الجانب الإثباتي لا يقلّ أهمية عنه.

فكان يوصي أتباع السيد الشهيد الصدر (قدس سره) بالصبر والتأتي وان الساحة بحاجة الى قيادة إسلامية أكثر من حاجتها الى مرجعية تقليد لوجود من تبرأ الذمة بالرجوع اليه، وأن الشهيد الصدر (قدس سره) أوصى بالرجوع إلى المرشح البديل قيادةً أولاً حتى يُشهد له بالاجتهاد فيمكن الرجوع إليه قيادةً وتقليداً حيث قال (قدس سره): (...يحتاج الشعب العراقي إلى قيادة لا تمثل التقليد يقلدون شخصاً ويأتمرون بأمر شخص آخر بعنوان الوكالة أو بأي عنوان آخر إلى أن يقول (قدس سره): فإن أمد الله تعالى في عمري وبقيت عدة سنوات أخرى فيوجد بالتأكيد هناك من طلابي ممن أتوخى منهم الإخلاص والتعب على نفسه والاجتهاد طيب القلب وخبير وورع ونحو ذلك قابل لأن تحول عليه القيادة الحوزوية ولربما في ذلك الحين يكون هو الأعلم...)(5)، فأهتم سماحة الشيخ بالتصدي لقيادة الحركة الإسلامية في العراق في تلك الفترة.

وحين أعلنَ اجتهاده في خطبتي صلاة الجمعة في الكاظمية المقدسة في صفر عام 1424هـ الموافق نيسان 2003 وشهد له بالاجتهاد عدد من مراجع الدين و العلماء والفضلاء بعد الاطلاع على بحوثه الاستدلالية سنة

1424هـ/ 2004م منهم سماحة آية الله الشيخ محمد علي الكرامي (دام ظله الشريف) (المجاز بالاجتهاد من قبل سماحة آية الله الشيخ المنتظري (قدس سره))، وسماحة آية الله الشيخ محمد الصادقي الطهراني (قدس سره) (المجاز بالاجتهاد من قبل السيد الخوئي (قدس سره) عام 1386هـ) وآخرون، رحم الله الماضين وحفظ الباقين، ازداد إلحاح المثقفين والواعين خصوصا من أتباع السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عليه للتصدي للمرجعية إلا ّ أنه أمرهم بالصبر و التريّث وإعطاء الفرصة للمتصدين لينهضوا بمسؤولياتهم من دون إثارة حساسية أو مشاكل، مع استمراره بقيادة الحركة الإسلامية الواعية بعد استشهاد السيد الصدر الثاني عام 1999، إذ لم يكن سماحة الشيخ اليعقوبي يرى في يومٍ ما المرجعية والزعامة على أنها هدف وغاية، وإنما هي وسيلة لإقامة الدين ونشر تعاليم أهل البيت (عليهم السلام) وحفظ كرامة الإنسان والدفاع عن حقوقه والارتقاء بالفرد والمجتمع في سُلّم الكمال، لذا كان همّهُ السعي لدعم الحوزات العلمية ونشرها ومساعدة المشتغلين بالعلم والعمل وملئ الساحات الفارغة من العمل الديني وإصلاح الفساد والانحراف من خلال إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة لفعل الخير والتوعية لرفعةَ الإسلام وعزة أبنائه قبل تصديه للمرجعية.

وبعد أن بدأ بإلقاء البحث الخارج في 1427هـ/2006م،

ولما أبرزه من مقدرة علمية راقية انتشرت من خلال موسوعة (فقه الخلاف) تعززت قناعة كثير من أساتذة وفضلاء الحوزة العلمية والمؤمنين الواعين والنخب المثقفة

بضرورة التصدي للمرجعية، واقترن ذلك بتشخيص سماحته وجود مساحات فارغة كثيرة من العمل الديني لرفعة الإسلام وعزة أبنائه ونشر الدعوة إلى اللّٰه تبارك وتعالى لا يمكن القيام به إلا تحت عنوان المرجعية.

قدّم سماحته رسالته العملية (سبل السلام) للطبع عام 1430هـ/ 2009م، مؤذناً للمؤمنين بالرجوع إليه تقليداً بعد أن كانوا يرجعون إليه قيادة وتوجيهاً، وكان همّه الرئيسي هو ملئ هذا الفراغ ودعم الحوزات العلمية ونشرها في بلاد المسلمين ومساعدة المشتغلين بالعلم والعمل.

وساهمت أبحاثه العلمية العميقة وأخلاقه الرفيعة وخطاباته الواعية المستوعبة للقضايا المعاصرة وهموم المسلمين وتطلعاتهم في إقناع المزيد من المؤمنين في الرجوع إليه، حتى أصبح من الوضوح ان مرجعيته المباركة اليوم تأتي في المقام الثاني بعد مرجعية السيد السيستاني (دام ظله الشريف) وقد ثبت ذلك بحسب الاحصائيات التي أجراها فريق من الخبراء الغربيين المتخصصين على عيّنات من ملايين الزوار في الأربعينية و ساعدتهم فرق متدربة، ونشرت الدراسة في كتاب عنوانه (الوجهة كربلاء)(6) طبعته ونشرته الأمانة العامة للعتبة العباسية المطهّرة، وأظهرت النتائج أن أتباع المرجع اليعقوبي يزيدون على مجموع أتباع المرجعيات الأخرى عدا السيد السيستاني طبعا.

وتوالت الطلبات لفتح مكاتب وممثليات لسماحته في

مختلف دول العالم لكنه لم يستجب إلا لتحقيق الأغراض أعلاه، حيث توجد اليوم في قم ومشهد ولبنان وسوريا والهند وباكستان وأفغانستان وإندونيسيا وتايلاند وبورما وأكثر من 20 دولة أفريقية.

وكان المرجع الراحل المرحوم السيد محمود الهاشمي الشاهرودي (قدس الله سره) يرى في سماحة الشيخ مرجعية قوية واعده - بحسب ما رواه اثنان من العلماء المقربين إليه - ووجهّ رئيس تحرير مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) التي يشرف سماحته عليها بنشر الأبحاث الفقهية الاستدلالية لسماحة المرجع في قسم البحوث الإجتهادية التي تنشر أبحاث المراجع الكبار ووصفها بأنها رصينة ودقيقة.

وقد وصل صدى مرجعيته المباركة إلى الأمم المتحدة حيث أُشير إليها في الإصدارين الذين نشرتهما منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عن مدينة النجف، فقد ورد في الإصدار الأول المُعنَون (النجف بوابة الحكمة) ما نصّه (ولقد التحق بهؤلاء المراجع الأربع الكبار مرجع جديد يفوقهم حداثة والتزاماً بالأمور السياسية وهو الشيخ محمد اليعقوبي أحد تلامذة السيد محمد محمد صادق الصدر صاحب الجاذبية المؤثرة الذي اغتيل لعام 1999، وهو يدير مدرسة دينية وقد أرتقى إلى مكانة المراجع اذ أنه جذب إليه مقلدين كثيرين من داخل العراق)(7).

وورد في الإصدار الثاني المُعنَون (النجف: تاريخ وتطور المدينة المقدسة) ما نصّه "وهناك مجتهدون آخرون تصدوا

للمرجعية ومن البارزين بين هؤلاء المرجع آية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي الذي يتمتع بمكانة متميزة. أن المرجع محمد اليعقوبي تصدى للمرجعية إستناداً إلى وصية مكتوبة من أستاذه المرجع محمد محمد صادق الصدر"(8)

وقال في موضع آخر: ((عندما يذكر النجفيون المرجعية يقصدون أحد المراجع الأربعة الكبار أو الأربعة بمجملهم وقد يضاف إليهم محمد اليعقوبي كمرجعٍ خامس)) (9)

وكان المرجع الراحل المرحوم السيد محمود الهاشمي الشاهرودي (قدس الله سره) يرى في سماحة الشيخ مرجعية قوية واعده - بحسب ما رواه اثنان من العلماء المقربين إليه - ووجهّ رئيس تحرير مجلة فقه أهل البيت (عليهم السلام) التي يشرف سماحته عليها بنشر الأبحاث الفقهية الاستدلالية لسماحة المرجع في قسم البحوث الإجتهادية التي تنشر أبحاث المراجع الكبار ووصفها بأنها رصينة ودقيقة.

وقد وصل صدى مرجعيته المبارك إلى الأمم المتحدة حيث أشير إليها في الإصدارين الذين نشرتهما منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عن مدينة النجف، فقد ورد في الإصدار الأول المُعنَون (النجف بوابة الحكمة) ما نصّه (ولقد التحق بهؤلاء المراجع الأربع الكبار مرجع جديد يفوقهم حداثة والتزاما بالأمور السياسية وهو الشيخ محمد اليعقوبي أحد تلامذة السيد

محمد محمد صادق الصدر صاحب الجاذبية المؤثرة الذي اغتيل لعام 1999، وهو يدير مدرسة دينية وقد أرتقى إلى مكانة المراجع اذ انه جذب إليه مقلدين كثيرين من داخل العراق)(10).

وورد في الإصدار الثاني المُعنَون (النجف: تاريخ وتطور المدينة المقدسة) ما نصّه "وهناك مجتهدون آخرون تصدوا للمرجعية ومن البارزين بين هؤلاء المرجع آية اللّه العظمى الشيخ محمد اليعقوبي الذي يتمتع بمكانة متميزة. أن المرجع محمد اليعقوبي تصدى للمرجعية إستناداً إلى وصية مكتوبة من أستاذه المرجع محمد محمد صادق الصدر"(11)

وقال في موضع آخر: ((عندما يذكر النجفيون المرجعية يقصدون أحد المراجع الأربعة الكبار أو الأربعة بمجملهم وقد يضاف إليهم محمد اليعقوبي كمرجعٍ خامس)) (12)

أقوال العلماء فيه :

صدرت كلمات كثيرة من مراجع الدين وكبار العلماء و الفضلاء في بيان أهلية سماحة الشيخ للمرجعية والقيادة، و الثناء على فكره الواعي وبصيرته الثاقبة ومشروعه الحضاري الناهض، ونحن نسجل هنا بعضاً مما هو منشور (13) بأسماء أصحابه ونحتفظ بالباقي :

1- السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) قال في مقدمة كتاب (المشتق عند الأصوليين) الذي قرر فيه سماحة الشيخ هذه المطالب الاصولية من بحث أستاذه وجعله السيد الشهيد (قدس سره) المجلد الثاني في موسوعته منهج الأصول قال (قدس سره):

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

اما بعد، فمن نعم الله سبحانه على الدين والمذهب عامة وعليّ خاصة وأنا العبد الخاطئ الذليل ان يرزقني عدداً لا يستهان به من الطلاب الفضلاء المخلصين وأهل الهمة المجدين جزاهم الله جميعاً خير جزاء المحسنين.

ومن أهمهم هذا الشيخ الجليل والعلامة النبيل المفضال الشيخ محمد موسى اليعقوبي (دام عزه)، فقد التزم دروسنا في علم الأصول وأنالها العناية الكافية فهماً وكتابةً ومدارسةً، وها هو يقدم لنا في هذا الكتاب نموذجاً من جهوده وليالي تفكيره. وقد قمت بمراجعته وتدقيقه فوجدته وافياً بالغرض ملمّاً بالمطالب حسب الأصول. ولكني اعتبرته هو المؤلف وله حرية التعبير وان كانت المطالب بالأصل صادرة مني بطبيعة الحال. ولكني أجزته في ذلك بعد حفظ المعنى ووضوح المبنى.

ولاشك انه بهذا الجهد الجهيد يسير بخطو حثيث نحو الا

اجتهاد ومعرفة السداد. أتمنى له المستقبل الزاهر في خدمة العلم والعمل وان يكون من المراجع المخلصين والقادة الطيبين جزاه الله خير جزاء المحسنين.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

حرره بتاريخ التاسع من شهر رمضان المبارك عام 1418

محمد الصدر(14)

وكتب إلى سماحة الشيخ رسالة بخط يده يرشحه فيها لخلافته ومما جاء فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

شيخنا الأجل دام عزك بعد التحية والسلام.

انت تعلم انني كنت ولا زلت اعتبرك افضل طلابي واطيبهم قلباً واكثرهم انصافا للحق بحيث لو دار الامر في يوم من ا لايام المستقبلية بين عدة مرشحين للمرجعية ما عدوتك لكي تبقى المرجعية في ايدي منصفين وقاضين لحوائج الا خرين لا بايدي اناس قساة وطالبين للدنيا.

حتى انني فكرت في درجة من درجات تفكيري انني اقيمك للصلاة في مكاني عند غيابي تمهيداً لذلك ولازال هذا التفكير قائماً، ولم تمنع عنه رسالتك الصريحة هذه. كما لم

اجد في طلابي إلى الآن على كثرتهم وتنوع اتجاهاتهم واذواقهم من هو جامع للشرائط التي اتوقعها اكثر منك، فحقق اللّه رجائي فيك بعونه وقوته.

1 جمادى الثانية 1418 (15)

-2 المرجع الديني سماحة آية اللّه الشيخ محمد علي الگرامي (دام ظله)

بسمه تعالى: من الواضح أن العلماء هم حماة الدين الحنيف ومدادهم هو الفاصل بين الحق والباطل ومن العلماء الشيخ الجليل اليعقوبي (دام ظله) فقد نظرت تسريحاً وبعضها بـ الدقة ببعض أبحاثه من كتبه الشريفة فرأيتها دقيقاً جامعاً فرأيي أنه (دام ظله) مجتهد فله العمل بما أستنبطه وفقه اللّه تعالى لمرضاته، وأظنه ممن يوفق في المستقبل لخدمات عالية للإسلام والمسلمين وفقنا اللّه وإياه لمرضاته.

14 ذي القعدة 1424هـ.

-3 المرجع الديني المرحوم آية اللّه الشيخ محمد الصادقي قدس سره صاحب تفسير الفرقان

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى اللّه على محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد فاني راجعت كراريس فقهية للأخ المفضال آية اللّه الشيخ محمد اليعقوبي حفظه اللّه تعالى ودامت بركاته العالية فوجدته

مجتهداً عريقاً عميقاً مطلعاً متضلعاً فله العمل بما يستنبطه في الفقه المرسوم بين الفقهاء ولا سيما الذين يؤصّلون القرآن في فتاواهم والسلام عليكم ورحمة اللّٰه.

قم المقدسة-محمد الصادقي الطهراني

8/ذي الحجة الحرام/1424هـ

4- المرجع الديني المرحوم آية اللّٰه السيد محمد حسين فضل اللّٰه (قدس سره).

السلام عليكم ورحمة اللّٰه وبركاته. وبعد..

((إننا نقدر الشيخ اليعقوبي في ثقافته وصدقه واستقامته وندعو له بالموفقية في نشاطه الإسلامي الثقافي والجهادي ونأمل من المؤمنين الانتفاع بمواعظه وإرشاداته.

السيد محمد حسين فضل اللّٰه / 7 شعبان 1425هـ.

مؤلفاته :

ينطلق سماحته في البحث والتأليف والكتابة من الحاجة الفعلية لتقديم شيء ما أو تشخيص فراغ علمي أو فكري أو أخلاقي أو اجتماعي يجب تغطيته، ولا يرى في التأليف إضافة رقم الى الموجود في المكتبات، بل يساهم كل كتاب بإضافة شيء جديد في المعارف الدينية، ويحقق مصلحة للدين وللأمة وفق رؤية ثاقبة لمقتضيات المرحلة، لذا تنوعت مؤلفاته تبعاً لذلك فإنه مضافاً إلى

بحوثه ومؤلفاته في التفسير والفقه والأصول والرجال و اللغة والأدب والتاريخ فأنه ركز على قضايا كثيرة مثل (عالمية الإسلام وقدرته على قيادة البشرية، العقائد الحقّة، ولاية أهل البيت (عليهم السلام) وقيمومتهم، القضية الحسينية والفاطمية والمهدوية، ولاية الفقيه، الأخوّة الإسلامية، المنبر الحسيني، صلاة الجمعة، دور المسجد، مسؤوليات المرجعية، الاسرة والتربية والحياة الزوجية، الشخصية الإسلامية، الغزو الثقافي، استثمار الوقت، الاعلام ، التنمية البشرية، التعايش السلمي، الحرب الناعمة، الصراع الحضاري مع الغرب، دولة الانسان والكرامة الإنسانية، المرأة ، الشباب، طلب العلم، منظمات المجتمع المدني، الاقتصاد، الاجتماع، السياسة، اصلاح النظام العشائري، الظواهر المنحرفة)(16)، ((هذا التنوع يكشف مدى عمق رسالة الدين الإسلامي العظيم ويحدد أبعادها وقدرتها على إيجاد الحلول لمختلف القضايا المعاصرة ومخاطبة العقول على مختلف مشاربها واتجاهاتها ، كما يعكس مساحة اهتمام المرجعية الرشيدة وطول باعها في ميادين العمل الإسلامي))(17)، ((ولمّا كانت رعاية الأمة تتطلب تغطية كل جوانبها الحياتية ومتابعة متغيراتها حرص سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) على تقديم المعالجات والحلول للمشاكل التي تعترض طريق بناء المجتمع السليم وتوفير الحياة الكريمة فصدرت البيانات والمحاضرات والكتب في التربية والأخلاق والاجتماع والتاريخ والاقتصاد والسياسة وغيرها ، وقد كان قبل ذلك وبعده بحوث الخارج الاستدلالية))(18)

ومن مؤلفات سماحة المرجع المطبوعة :

١. (من نور القرآن) تفسير موضوعي حركي أخلاقي يقتبس من نور القرآن الكريم ما يلقي الضوء على قضايا عقائدية أو أخلاقية أو فكرية أو اجتماعية ففي كل قبس يركز على قضية معينة يفصّلها بعد تفسير الآية، فهو تفسير موضوعي لأنه ينظر إلى الآيات الكريمة من خلال القضايا التي تعالجها بضم بعضها الى بعض، وهو حركي لأنه يسعى لتفعيل دور القرآن القيادي في حياة البشرية، وهو أخلاقي لأنه يبين مسلك القرآن الكريم في هداية الناس نحو الكمال، وقد صدرت منه خمسة مجلدات.

2- (فقه الخلاف) وهي مجموعة أبحاث الخارج في الفقه الاستدلالي المقارن، يتناول فيها مسائل معقدة شهدت صراعاً علمياً شديداً وتختبر بها فقاهة الفقيه كأرث الزوجة من العقار و الوقوف في عرفة مع العامة، كما عرض مسائل مستحدثة كالتلقيح الصناعي والفروع الفقهية المترتبة على انخفاض قيمة العملة و زكاة الأوراق المالية، و الصوم والصلاة في القطبين، و ابتكر مسائل غير مسبوقة كأرث أولاد الاولاد مع وجود الاولاد المباشرين غير أبويهم، وشكل تعلق الزكاة بالمال وصوم المسافر كما بحث مفصلاً في مسائل لم تحظ بالاهتمام الكافي في الموسوعات الفقهية ككتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، صدر منه 12 مجلداً ويوجد آخران تحت الطبع.

وطبعت بعض المسائل بكتب مستقلة، منها:

أ - فقه الإنجاب الصناعي، مجلد

ب – الفقه الباهر في صوم المسافر، مجلد

ج – أسمى الفرائض وأشرفها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مجلدان

د – فقه المشاركة في السلطة: مجلد

3- (خطاب المرحلة) موسوعة توثق بيانات وكلمات وتوجيهات ورؤى سماحة المرجع (دام ظله) في مختلف قضايا الدين والإنسان والوطن والدولة والامة، منذ تصديه لقيادة الحركة الإسلامية في العراق، بعد استشهاد السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) عام 1999، طبع منه 12 مجلداً وهو مرتب زمنياً واختص المجلد الأول والثاني بـ الفترة التي سبقت سقوط نظام صدام المقبور

4- (سبل السلام) رسالة عملية في العبادات، مجلد واحد والكتاب وان سار على مسلك الفقهاء المعاصرين ومنهجهم لكنه يحمل في طياته أمثلة مناسبة للثقافة المعاصرة وتوضيح بعض المسائل، كما تضمّن الكتاب عدة مواعظ وفوائد روحية واجتماعية لإشباع كل أبعاد الحكم الشرعي.

5- (منتخب سبل السلام) رسالة عملية مختصرة في المعاملات.

6- (مناسك للحج والعمرة) رسالة عملية في أحكام الحج والعمرة.

7- (الدرر الأصولية) مجموعه الأبحاث والمباني الأصولية التي تناولها سماحة المرجع في بحثه الخارج جمعها وبوبها فضيلة الشيخ حيدر السعدي، وصدرت في مجلد ضخم.

8- (الأسوة الحسنة للقادة والمصلحين) هو دراسة تحليلية في سيرة النبي (صلى اللّه عليه وآله)، على غير النمط المعروف من السرد التاريخي، في مجلد واحد

٩- (دور الأئمة في الحياة الإسلامية) هو شرح مفصّل لمقال بنفس العنوان نشره السيد الشهيد الصدر الأول (قدس سره) في مجلة الإيمان النجفية، مجلد واحد وألحقه بمجلد آخر في (بعض الدروس المستفادة من سيرة الأئمة المعصومين) (عليهم أفضل الصلاة والسلام)

10- (القيام الفاطمي) ضمّ مجموعة خطابات لسماحته في الزيارات الفاطمية السنوية مع كلمات وأحاديث في تحليل سيرة الصديقة الزهراء (عليها السلام).

11-(المعارف القرآنية والمنبر الحسيني) أربعون محاضرة قرآنية على طريقة المجالس الحسينية لتقديم مادة قرآنية لخطباء المنبر الحسيني، مجلد كبير.

12- (ساكن القلب) قراءة قرآنية في العلاقة الوجدانية بين العبد وخالقه تبارك وتعالى مأخوذة من الحديث الشريف (القلب حرم اللّه فلا تسكن في حرم اللّه غير اللّه) مجلد

13- (جهاد واجتهاد) مذكرات سماحة المرجع بقلمه، مجلد واحد

14- (الرياضيات للفقيه) كتاب فريد في بابه يتناول التجذير الرياضي لبعض المسائل الفقهية ببيان سلس لكنه عميق ولقد أجاد وأفاد في ربط مسائل فقهية عديدة بـ الرياضيات العالية، مجلد واحد.

15-(المشتق عند الأصوليين) تقريرات بحث أستاذه الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في مبحث المشتق من علم الأصول، مجلد كبير بجزئين وطبع الأول منهما ضمن موسوعة منهج الأصول السيد الشهيد الصدر (قدس سره)

16- (المعالم المستقبلية للحوزة العلمية) سجل فيه سماحة المرجع مشروعه للنهوض بواقع الحوزة العلمية وأدائها لمسؤولياتها في بداية تصديه لتوجيه الحركة الإسلا مية.

17-(قناديل العارفين) مجموعة من الرسائل المتبادلة مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) في تهذيب النفس وتطهير القلب على طريقة أهل السلوك الصالح ويعود تاريخها إلى ثمانينيات القرن الماضي أيام إقامته الجبرية مجلد واحد.

18- (الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه) مذكرات سماحة المرجع عن علاقته بالسيد الشهيد الصدر الثاني إلى حين استشهاده وتضمّن بعض البحوث الفكرية المتبادلة في فترة الثمانينيات، مجلد واحد.

19-(نظرة في فلسفة الأحداث) والدروس المستفادة منها بحث كتبه السيد الشهيد الصدر الثاني (قدس سره) وعلّق

عليه وأضاف إليه سماحة المرجع، وهو من نتاج فترة الثمانينيات أيضاً.

20- (فقه ذوي المهن) مجموعة الكتيبات التي أصدرها سماحة المرجع في بيان الأحكام الشرعية لمختلف المهن في المجتمع ونصائح الى العاملين فيها تطبيقاً لدعوته إلى تأسيس الفقه الاجتماعي، كفقه الأطباء والصيادلة و المعلمين والقوات الأمنية وطلبة الجامعات والصيرفة و المزارعين والحلاقين والصيادين وقيادة السيارات وغيرها، وهي ثلاث مجلدات.

21-(ثلاثة يشكون) شرح للحديث الشريف في شكوى القرآن والمسجد والعالم، مجلد واحد وطبعت أقسامه الثلا ثة في كتب مستقلة أيضا واشتهر شكوى القرآن كثيرا.

22- (الشيخ موسى اليعقوبي حياته، شعره) في سيرة و الده المرحوم، الشيخ موسى اليعقوبي وجمع فيه قصائده المخطوطة.

23- (جعفر الطيار) فتى النقاء والعفاف والجهاد.

24- (نظرية اللغة الموحدة في الميزان) كراس في نقد النظرية مما يَقرُب من أربعين نقطة، ونشر الكراس في موسوعة خطاب المرحلة.

25-(هل كان للخنساء أربعة بنين استشهدوا في معركة القادسية) تحقيق تاريخي لبيان زيف هذه القضية والدافع لوضعها، كراس في موسوعة خطاب المرحلة.

مشاريعه :

يعتقد سماحة الشيخ اليعقوبي ان الكثير من نشاطات المرجعية لابد أن تُدار من قِبل مؤسسات لا أفراد، خصوصاً عندما توسعت ساحة العمل الذي حصل بعد زوال نظام صدام المقبور في نيسان 2003 م الموافق صفر 1424هـ، وسنحت الفرصة للانطلاق بالمشروع الإسلامي المبارك في مديات كانت محظورة تماما.

فشرعَ فعلا ً في إنشاء تلك المؤسسات بعد زوال النظام مباشرةً، فعقد المؤتمر التأسيسي لـ (جماعة الفضلا ء) في 30 / نيسان/ 2003 الموافق 27/ صفر /1424هـ ، وتضم الجماعة فضلاء الحوزة العلمية الذين لهم نشاط اجتماعي واهتمامٍ بالوعي الرسالي وتحريك مشروع الإسلا م في واقع الأمة حتى تقتنع به وتتبناه، ويقوم الفضلاء بإدارة مفاصل المشروع المرتبطة باختصاصهم.

وكانت نواة هذه الانطلاقة المباركة طلبة جامعة الصدر الدينية الذين تلقوا على يديه تربية علمية وأخلاقية وفكرية كما قام بزيارة بغداد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمّ ص لاة الجمعة في الصحن الكاظمي الشريف يوم 22 صفر الموافق 25 / 4 / 2003م، حيث وجّهَ الآلاف المحتشدة إلى ما ينبغي أن تسعى لتحقيقه من مطالب سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية في ظل التحولات الجديدة،

ودعاهم إلى مسيرة حاشدة يوم الاثنين التالي إلى ساحة الفردوس وسط بغداد لتأكيد تلك المطالب، وكانت تظاهرةً ضخمةً جداً امتدت عدة كيلو مترات، واجتمع في زيارتـه

تلـك بعـددٍ مـن المثقفيـن والأسـاتـذة الأكـاديميـن، وقـام سماحته بتوجيه أتباعه لتشكيل حزب سياسي يشارك في العملية السياسية بعد سقوط صدام عام 2003 لتحقيق الأهداف الإنسانية والإسلامية والوطنية ويكون له دور الريادة وتجسيد المبادئ وقد جمعت جملة من أطروحات سماحته السياسية ورؤاه ومواقفه وتشخيصه للحلول والمشاكل في مجلد ضخم بعنوان (نصوص سياسية) كما صدر له كتاب في أخلاقيات العمل السياسي بعنوان (نحو سياسية نظيفة) .

كما وجّه سماحته شرائح عديدة لتنّظِم شؤونها وتفعِّلْ دورها في كيانات متخصصة في العمل الديني والثقافي و الخيري والعشائري والاجتماعي والتنموي وقد نالت شريحتا النساء والشباب اهتماماً خاصاً من لدن سماحته، وتوجد في موسوعة (خطاب المرحلة) أدبيات تأسيس هذه الكيانات وآليات عملها وأهدافها، ويواصل سماحته دعمه لتلك المؤسسات.

ومن المؤسسات القائمة الآن بلطف الله تبارك وتعالى غير جماعة الفضلاء نذكر:

1- جامعة الصدر الدينية:

تأسست الجامعة عام 1417هـ/1997م برعاية السيد

الشهيد الصدر (قد سره) و الهدف منها استقطاب حَمَلة الشهادات الأكاديمية إلى الحوزة العلمية واحتضانهم في مشروع طموح يجمع بين الدراستين ويجدد في عناصر شخصية الحوزويين وقد وضع فكرته السيد الشهيد الصدر ا لأول (قد سره) ونفذها السيد الشهيد الصدر الثاني (قد سره) و اختار الشيخ اليعقوبي لعمادتها باعتباره يحمل شهادة أكاديمية راقية وفضيلة حوزوية عالية وقد حافظ سماحته بحكمة و شجاعة على استمرار المشروع بعد استشهاده وبعد سقوط النظام بادر إلى فتح فروع للجامعة في المحافظات والتي تجاوزت ألان(24) فرعاً(19) و مجموع طلبتها (2000) تقريبا في محافظات الوسط و الجنوب، ستة منها في بغداد و اثنان في النجف الأشرف وقد كتب سماحته النظام الداخلي للجامعة ومفردات مناهجها ونشاطاتها ونظام العمل بفروعها في كتاب (جامعة الصدر الدينية :الهوية والانجازات) ومدة الدراسة فيها ثمان سنوات تُمثّل الثلاثة الأولى منها كلية (التوجيه الديني و الإ صلاح الاجتماعي) و الثلاثة الثانية (كلية إعداد المدرسين) و السابعة و الثامنة (كلية الاجتهاد المقيد) يتأهل تزاماً معها لحضور البحث الخارج، وقد تخرجت منها عدة دورات لحد الآن .

2- جامعة الزهراء (عليها السلام) للعلوم الدينية:

وهي على غرار جامعة الصدر الدينية في مفردات الدراسة ونظامها ومراحلها إلا أنها مختصّة بالنساء وقد تأسست بعد

سقوط النظام عام 1424هـ/ 2003م، ولها اليوم أكثر من عشرين فرعاً في النجف والمحافظات الأخرى تضم (2600) طالبة، ويراعي نظام الدراسة فيها طبيعة مسؤوليات المرأة في العمل الاجتماعي.

3- مَجْمَع المبلغات الرساليات:

المجمع عبارة عن كيان مؤسساتي يرتبط بمكتب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في النجف الأشرف من خلال اللجنة المركزية ولهذا الكيان فروع متعددة في مختلف المحافظات.

يعمل المجمع من أجل رعاية المبلغات مادياً ومعنوياً في مختلف مناطق العراق وتوفير فرص التبليغ الديني للمبلغات في مختلف الأصعدة. وتعد رابطة بنات المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) التي أُسست بعد سقوط النظام مباشرة النواة الأولى لهذا الكيان

4- مؤسسة (البيت السعيد):

كخطوة مهمة من خطوات بناء الإنسان الصالح، تم إنشاء مؤسسة (البيت السعيد) لمعالجة مشكلة كبيرة عصفت بـ المجتمع المسلم في العقود الأخيرة، وهي مشكلة تفاقم حا لات الطلاق وعزوف الشباب عن الزواج وعدم قدرة المتزوجين على مواجهة وحلّ المشكلات المتفجرة، بسبب الجهل بحقوق الطرفين والافتقار إلى الحكمة في إدارة

عشّ الزوجية، وعدم الوقوف على فلسفة الزواج وأسس نجاح الحياة الزوجية، من هنا انبرت مؤسسة (البيت السعيد) لسدّ هذه الثغرة ومعالجة النقص الثقافي عند المتزوجين وكذلك عند المقبلين على الزواج، من خلال إقامه الدورات التثقيفية وعقد الندوات وإنشاء البرامج التلفزيونية والإجابة على أسئلة الناس عبر وسائل التواصل الإجتماعي، وقد صدرت عدة كتب نافعة في هذا المجال توزع على المتزوجين الجدد لتثقيفهم بالمسؤولية الجديدة

5- مجلس الحكماء والأعيان :

مجلس يضمّ وجهاء المجتمع وأهل الخبرة في مختلف المجالات وأهل الحكمة والرشد في تقديم الرؤى الصائبة وحلّ المشاكل، ويكون سنداً ومستشاراً للقيادات الدينية و السياسية ويجعل وضع العشائر في صلب اهتمامه.

حيث يعدّ الاهتمام بالكيان العشائري والأعيان ووجهاء المجتمع من أولويات المرجعية الرشيدة، لما للوجود العشائري من حضور فاعل في مجتمعنا العراقي بل في المجتمع المسلم عموماً.. وعليه فلابد من إنشاء مؤسسة تهتم باحتياجات العشائر وترسل الوفود لزيارتهم وتقيم الدورات الفقهية والثقافية لهم، وتحاول إبراز ما هو ايجابي وسلبي في الواقع العشائري، وتستعين بهم لحل المشاكل و النزاعات الاجتماعية ودفع المفاسد للوصول بعشائرنا الكريمة والمجتمع عموماً إلى حالة الرقي والتكامل.

6- مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة:

يعنى بالثقافة والأفكار ويحاول أن يؤصّل للحلول و المقترحات تجاه مشكلات الإنسان المعاصر، وينطلق من رؤية راسخة بقابلية الحضارة الإسلامية على قيادة الحياة وتقديم نموج يتناسب مع احتياجات العصـر من غير أن ينقطع عن أصوله ومنطلقاته وثوابته.. ويسعى المركز ضمن برامج بحثية وهموم ثقافية ودورات لكتابة البحوث وتصديرها، لتعزيز الوعي الاجتماعي بقضايا الثقافة والأ فكار ومناقشة قضايا التخلّف والتسيّد لقيم غير أصيلة في المجتمع.. كما يؤمن المركز أن الحلول الإسلامية تنطلق من جذورها المناسبة، ولهذا فهي تحاول التأسيس من منطلقات إسلامية خالصة، بعيداً عن كل التحيزات المحيطة.

وقد أصدر المركز أكثر من مئة كتاب في مختلف حقول المعرفة كما عقد مؤتمرات وندوات واستضاف شخصيات علمائية وجامعية من داخل العراق وخارجه، وأقام عدة دورات، ويصدر مجلة تخصصية في العلوم الدينية باسم (ا لاستنباط) وأخرى في الوعي الإسلامي باسم (الإيمان).

7- مدرسة الأبرار الدينية (20) :

مؤسسة علمية حوزوية تهدف إلى إبراز نخبة من العلماء و الكتاب والمبلغين، تتبع المدرسة منهجاً رصيناً في دراسة

الفكر الإسلامي وما يتصل به من علوم.

تحتل الدروس القرآنية والحديثية والأخلاقية والدراسات المعاصرة موقعاً خاصاً في منهجية المدرسة مما يساهم في سد الحاجة الملحّة من دراسة هذه العلوم في الوقت المعاصر، تأسست عام١٤٣٩ هـ – ٢٠١٨ م

وموقع المدرسة: النجف الأشرف، مقابل مدخل شارع المدينة

8- مؤسسة ملتقى العلم والدين (21):

مؤسسة شبابية توائم بين العلم والدين وتعمل على بناء وتطوير الشباب دينياً وعلمياً وثقافياً من خلال برامج تدريبية وتثقيفية نوعية هادفة وإجراء البحوث والدراسات، لإيجاد قادة مؤهلين لقيادة المؤسسات وإدارة مفاصل المشروع الرسالي، وفق مبادئ ومنهج الإسلام الحنيف وهدي سيرة المعصومين (عليهم السلام) وتوجيهات وإرشادات المرجعية المباركة، وتعمل على ترسيخ الروابط الفاعلة بين المؤسسات الدينية والأكاديمية والمجتمعية للنهوض بواقع المجتمع.

9- مؤسسة الصلاة عمود الدين:

إنطلاقاً من الأهمية العظمى لفريضة الصلاة وآثارها على الإ نسان في الدنيا والآخرة حيث تمثل أعظم الأذكار الأهلية وأهمها، ولذا تنتج الطمأنينة والاستقرار في الدنيا، قال تعالى:(أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) ولكون الصلاة شعار كل مسلم وهويته التي لابد من المحافظة عليها دعت المرجعية

الرشيدة إلى تأسيس مؤسسة تعنى بتثقيف المجتمع بأهمية الصلاة وضرورة إقامتها وتسعى لإنشاء المصليات في كل مكان وتشرح ثمرات الصلاة المباركة في الدنيا والآخرة وتوضّح كل ما يتعلق بالصلاة من الواجبات والمستحبات وا لآداب والمقدمات، فكانت (مؤسسة الصلاة).

10- مؤسسة الجمعة:

وهي مؤسسة خاصة مهمتها تأسيس ونشر وإدارة صلوات الجمعة في العراق من خلال تقييم طلبات فتح صلوات الجمعة ودراسة الموقف الشرعي المتعلق بإقامتها وتهيئة الخطباء وتوجيههم بما ينسجم وتعاليم الدين الحنيف وتوجيهات المرجعية الرشيدة وتطوير الخطاب الديني وتحديثه وإغنائه.

11- مؤسسة فيض الزهراء (22)(عليها السلام):

لرعاية الأيتام والفقراء، مؤسسة إنسانية خيرية اجتماعية تهتم بشؤون المجتمع والمتعففين من أبناء الشعب العراقي. وذلك إسهاما منها في بناء دولة المؤسسات في شتى ميادين الحياة ومنها البناء المادي والمعنوي للأيتام و الفقراء كخطوة في تعزيز جوانب الوجود الحضاري الفعال ل لأمة الإسلامية، وهي ممتدة من شمال عراقنا الحبيب إلى أقصى جنوبه بواقع أكثر من(100)مائة فرع ومكتب في عموم المحافظات، وتسعى اليوم إلى فتح أبوابها خارج العراق لكي تكون بوابة عطاء ونماء لأبنائها وبناتها وكل من يتصل بها من أهل الحاجة المعنوية والمادية حيث بلغت

لحد ألان ما يقارب (10000) عشرة آلاف عائلة مستفيدة من المحاضرات التوعوية الثقافية والرعاية الصحية و القانونية والاجتماعية والمساعدات العينية و المالية وغيرها، وكان تأسيسها في سنة 1434هج الموافق 2013م وقد سُجّلت في دائرة منظمات المجتمع المدني وصدرت الإجازة الرسمية بتاريخ 2016/10/9م تحت الرقم (111610028).

12- مركز الإمام الصادق (عليه السلام) للدراسات و البحوث الإسلامية التخصّصية:

هو أحد المراكز التخصصية في النجف الأشرف ويعمل على رفد الوسط الإسلامي بالصورة الصحيحة عن الإسلام التي كانت ولازالت رسالته الرحمة للعالمين يهدف المركز إلى نشر العلم والمعرفة، وتصحيح الرؤى والمفاهيم الدينية بالا ستقاء من منابعها الرئيسة، القرآن الكريم، والسنة الشريفة، مستفيداً في ذلك من عمق التجربة الدينية في حوزة النجف الأشرف التي كانت ومازالت تمثل النمرقة الوسطى بين التيارات الدينية التي انتشرت في أرجاء المعمورة، ومتكأً على من تغذيهم من طلبة العلوم الدينية والأساتذة ا لأكاديميين الذين طالما نهلوا من نمير هذه الحوزة المباركة، ومنفتحا على الجميع في سبيل تحقيق الهدف المشترك الذي دعا إليه جميع الأنبياء والرسل. يتكون المركز من خمسة أقسام:

قسم الدراسات القرآنية.

قسم الدراسات العقدية والفكرية.

قسم الدراسات التخصّصية في الامام المهدي (عليه السلا م)

قسم الفقه الإسلامي

قسم فلسفة الفقه.

والمركز بصدد إنشاء أقسام أخرى تختص بالاقتصاد الإسلا مي والتأريخ وعلم الحديث واللغة العربية وآدابها..، وقد أصدر المركز عشرات الكتب في هذه الحقول المتنوعة.

13- مكتبة شيخ الخطباء:

هي إحدى المكتبات العامة في النجف الأشرف. تحتوي المكتبة على خمسة عشر ألف كتاب متنوعة وفي جميع العلوم والاختصاصات. تعتبر من المكتبات الغنية في المصادر والكتب القديمة السنية. كذلك فيها مجموعة كبيرة من الرسائل والاطاريح الجامعية. فيها قسم خاص لمؤلفات شيخ الخطباء محمد علي اليعقوبي (رحمه الله) والتي أبرزها كتب الأدب والشعر. المكتبة غنية بالمجلات العلمية التي صدرت في منتصف القرن العشرين.

14- مدرسة أعلام الهداية الدينية:

تسعى المدرسة لإعداد طلبة يكونون قادة لخدمة الدين وإرشاد المجتمع وكذلك أساتذة في الحوزة ومجتهدين وهي تقبل فقط الطلبة الأكاديميين الخريجين لكي تعدهم

ويتقبلوا أكثر لاستيعاب العلوم وتطبيقها على الواقع وكذلك تدخل بين دروسها الحوزوية دروس أخرى من التفسير وعلوم القران والتأريخ ونهج البلاغة وغيرها، مما تساعد الطالب على فهم الواقع وعلاجه بصورة قرآنية وحديثية صحيحة.

15- المركز الفاطمي للدراسات والتنمية البشرية:

من فيض الزيارة السنوية المباركة لمرقد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الثالث من شهر جمادى الآ خرة التي دعا إليها سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي دام ظله لإحياء ذكرى استشهاد الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) فقد دعا سماحته إلى تأسيس مركز للدراسات الفاطمية يتولى المهمة العلمية في البحث والتأليف والتحقيق في سيرة السيدة الطاهرة (عليها السلا م)وتعريفها للمجتمع الإسلامي والإنساني، وزيادة الوعي بمفردات سيرتها المباركة بهدف الإسهام العلمي البنّاء في تعزيز جوانب الوجود الحضاري الفعال للأمة الإسلامية، وعلى هذا الأساس كان تأسيس المركز الفاطمي للدراسات و التنمية البشرية f.c.s.h.d في ربيع الثاني 1434 /شباط 2013، يتبنى المركز تشخيص المشكلات الثقافية والا جتماعية والنفسية التي تعترض طريق التنمية في المجتمع العراقي والإسلامي باعتماد برامج تنظيمية تكفل تلاقي الطاقات العلمية والبشرية في الحوزة والجامعة بهدف الوصول إلى تنمية حقيقية.

وأصدر المركز عدة كتب في القضية الفاطمية وأقام عدة مؤتمرات ومسابقات كما شرع بإصدار فهرست بالمؤلفات في سيرة السيدة الزهراء (عليها السلام).

16- المعهد الإسلامي للتطوير والدراسات:

مؤسسة تنموية إسلامية تهتم بتنمية المهارات الشخصية و القيادية من أجل بناء دولة الإنسان وتهدف إلى رفع المستوى الثقافي وتنمية مهارات الإنسان ضمن مناهج علمية رصينة تستند إلى الفكر الإسلامي الأصيل من خلال إقامة ورش العمل والدورات التدريبية وبرامج صنع القادة لمختلف الشرائح والمؤسسات.

الأنشطة

١- استشارات إدارية.

٢- إعداد خطط إستراتيجية.

٣- إقامة برامج إعداد قادة.

٤-تصميم برامج تدريبية.

17- مؤسسات إعلامية:

أ. قناة النعيم الفضائية: وهي قناة فضائية دينية محافظة تهدف إلى نشر الوعي الإسلامي وتعاليم أهل البيت (عليهم السلام) والتوجيهات الأخلاقية والتربوية والاجتماعية المفيدة وتعالج عدة قضايا في المجتمع العراقي وتبث برامجها من البصرة ولها مكاتب رئيسية في النجف الأشرف وبغداد ومكاتب فرعية في باقي محافظات العراق ولسماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) عدة كلمات عن أهمية الإعلام ودور الكلمة في حياة الأمة.

ب- قناة بيّنات الفضائية (خاصة بالقران الكريم من منظور أهل البيت (عليهم السلام)) لتعريف الإسلام والقران إلى الغرب وتبث بالعربية والانكليزية والفرنسية.

ت - إذاعة البلاد من بغداد.

ج- إذاعة الأمل من البصرة.

د. إذاعة سبل السلام من الناصرية.

هـ. إذاعة الرميثة من محافظة السماوة.

18- المناسبات الدينية الكبرى:

ومن المشاريع الدينية التي تبناها ورعاها سماحة المرجع هو تأسيس الزيارة الفاطمية إلى مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم 3 جمادى الثانية من كل عام لإحياء ذكرى

استشهاد الصديقة الزهراء (عليها السلام)، مما يساهم كثيراً في نشر القضية الفاطمية وإبراز تأثيرها العظيم، حيث يشارك عشرات الآلاف من المؤمنين في تشييع رمزي ينطلق إلى الحرم العلوي الشريف بعد أن يلقي سماحته فيهم خطاباً من وحي المناسبة والواقع المُعاش، وقد بدأت المناسبة أول مرة عام 1427 هـ/ 2006 م

والثانية مواكب الوعي الحسيني لأساتذة وطلبة الجامعات التي نظمّها في أول سنة بعد سقوط النظام الصدامي ليلة عاشوراء في كربلاء ويشارك فيها أكثر من عشرين ألف ط الب جامعي في مسيرة منتظمة تنطلق من جامعة كربلاء إلى الروضة الحسينية والعباسية الشريفة وترفع كل جامعة لافتة باسمها والكليات كذلك، وينتظم الطلبة في كراديس ومواكب يسمى كل منها بصفة أو خصيصة من مبادئ الإسلا م وتعاليمه المباركة، ومن المعروف سعة ولاء طلبة الجامعات لسماحة الشيخ اليعقوبي وتقوم لجان بتوفير الخدمات من الطعام والسكن والضيافة في كلتا المناسبتين وقد تطورت المناسبة لينبثق في ضوئها (ملتقى العلم و الدين) أو(ملتقى الجامعات والحوزة العلمية) واستمرت لعدة سنوات ثم تحولت إلى مواكب الوعي الطلابي في زيارة الأربعين وانضمت بشكل كراديس إلى موكب العزاء في الزيارة الفاطمية في الثالث في جمادى الثانية.

----

[1] - اليعقوبي، محمد علي، البابليات، ج3، ص206، الناشر

الرافد للمطبوعات بغداد،1439هـ 2017م.

[2] - اليعقوبي، محمد، الشيخ موسى اليعقوبي حياته، شعره، ص11، الناشر دار الصادقين النجف الاشرف، ط1، 2002.

[3] - راجع اعيان الشيعة والحصون المنيعة والطليعة ونقباء البشر ومعارف الرجال والبابليات وغيرها.

[4] - وهي منشورة في المجلدين الأول والثاني من موسوعة خطاب المرحلة.

[5] - أحد الحوارات التي أجريت مع السيد الشهيد الصدر الثاني (قده) ومسجل على شريط كاسيت في منتصف عام 1998.

[6] - فوتيني كريستا، اليزابيث داكسير، درين نوكس، الوجهة كربلاء ص152 الطبعة الأولى، الناشر مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت العتبة العباسية المقدسة 1438هـ - 2017م.

[7] - ياسر طباع، صابرينا ميرفان، ارك بونيرن، النجف بوابة

الحكمة، ص131، الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية و التعليم والثقافة بالتعاون مع مكتب اليونسكو للعراق عمان الأردن،2014.

[8] - د. صابرينا ميرفان، د. روبرت كليف، د. جيرالدين شاتلار، النجف، تاريخ وتطور مدينة المقدسة، ص377 منشورات اليونسكو الناشر دار الوراق للنشر 2016.

[9] - د. صابرينا ميرفان، د. روبرت كليف، د. جيرالدين شاتلار، النجف، تاريخ وتطور مدينة المقدسة، ص203 منشورات اليونسكو الناشر دار الوراق للنشر 2016.

[10] - ياسر طباع، صابرينا ميرفان، ارك بونيرن، النجف بوابة الحكمة، ص131، الناشر منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة بالتعاون مع مكتب اليونسكو للعراق عمان الأردن،2014.

[11] - د. صابرينا ميرفان، د. روبرت كليف، د. جيرالدين شاتلار، النجف، تاريخ وتطور مدينة المقدسة، ص377 منشورات اليونسكو الناشر دار الوراق للنشر 2016.

[12] - د. صابرينا ميرفان، د. روبرت كليف، د. جيرالدين شاتلار، النجف، تاريخ وتطور مدينة المقدسة، ص203

منشورات اليونسكو الناشر دار الوراق للنشر 2016.

[13] - لاحظ صورها في قسم الوثائق

[14] - اليعقوبي، محمد، المشتق عند الأصوليين القسم الأ ول: ص 2، منهج الأصول: ج2، الناشر مؤسسة عاشوراء – قم المقدسة 1427هـ - 2007م.

[15] - اليعقوبي، محمد، قناديل العارفين: ص11، الناشر دار جامعة الصدر الدينية النجف الاشرف 1426هـ - 2005 م.

[16] - راجع كتاب (التصنيف الموضوعي لخطاب المرجع اليعقوبي) وهو مجلد ضخم.

[17] - دار الصادقين، شذرات معرفية، ص5، وهو كتاب تعريفي بمؤلفات سماحة المرجع والكتب والدراسات التي بحثت فيها، الناشر دار الصادقين النجف الاشرف 2021م.

[18] - دار الصادقين، شذرات معرفية، ص8، الناشر دار الصادقين النجف الاشرف 2021م.

[19] - وهي قائمة اليوم تحت مسمى جامعة باقر العلوم (عليه السلام)

[20] - بالإضافة الى هذه المدرسة توجد عدة مدارس دينية في النجف الاشرف كمدرسة الامام الجواد (عليه السلام) - التي تأسست منذ أكثر من عشر سنوات ولها مراحل دراسية متقدمة - وجامعة الامام الباقر (عليه السلام) – التي تأسست منذ أكثر من خمس سنوات والتي يبلغ عدد طلبتها ما يقارب (200) طالب بمراحل مختلفة يخضع فيها الطالب الى امتحانات على وفق نظام الكور سات - وفي الكوفة المقدسة كمدرسة الامام الصادق (عليه السلام)

[21] - وعلى غرارها توجد مؤسسة ملتقى العلم والدين النسوية.

[22] - الحقت بها نقابة السادة العلويين

والحمد لله رب العالمين